

أترى: بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، و﴿أَنْ أُنذِرُوا﴾: بدل من الروح، أي: ينزلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، أو تكون «أن»: مفسرة؛ لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى أنذروا: ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: اعلّموا بأن الأمر ذلك، من نذرت بكذا إذا علمته، والمعنى: يقول لهم: اعلّموا الناس قولي لا إله إلا أنا ﴿فَأَنْتُمْ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا بُشْرُكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾﴾

ثم دلّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر، مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجرّ أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلّاتقه؛ ومثله متعال عن أن يشرك به غيره، وقرئ: «تشركون»: بالباء والياء، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾، فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو منطبق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة، بعد ما كان نطفة من منّي جماداً لا حس به ولا حركة؛ دلالة على قدرته.

والثاني: فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه، قائل: من يحيي العظام وهي رميم؛ وصفاً للإنسان بالإنفراط في الوقاحة والجهل، والتمادي في كفران النعمة، وقيل: نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم؟ (٨٢٥).

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَالْأَنْعَمَ﴾ / ١٩٠: الأزواج الثمانية، وأكثر ما تقع على الإبل، وانتصابها بمضمّر يفسره الظاهر، كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ فَدَرْتَهُ﴾ [يس: ٣٩]، ويجوز أن يعطف على الإنسان، أي: خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ أي: ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان، والدفء: اسم ما يدفأ به، كما أنّ الملاء اسم ما يملأ به، وهو الدفء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر، وقرئ: «دف»: بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على

٨٢٥ - قال الحافظ:

سبأني في سورة يس. انتهى.

الفاء، ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ هي: نسلها ودرّها وغير ذلك.

فإن قلت: تقديم الظرف في قوله: ﴿وَمَنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها.

قلت: الأكل منها هو الأصل^(١) الذي يعتمده الناس في معاشهم، وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكه، ويحتمل أن طعمتكم منها؛ لأنكم تحرثون بالبقر فالحبّ والشمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معازمها؛ لأنّ الرعيان إذا رَوّحوها بالعشي وسرحوها بالغداة - فزينت بإراحتها وتسريحها الألفية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء^(٢) - أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس؛ ونحوه: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿يُؤْرَى سَوَاءً تَكُمُ وَرِيثًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

فإن قلت: لم قدّمت الإراحة على التسريح؟

قلت: لأنّ الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها، وقرأ عكرمة: «حيناً تريحون وحيناً تسرحون»: على أن (تريحون وتسرحون): وصف للحين، والمعنى: تريحون فيه وتسرحون فيه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ﴾

﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِبَلَدِهِ إِلَّا بَشِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ﴾

﴿رَجِيمٌ﴾

قري: «بشق الأنفس»: بكسر الشين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق: وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقاً، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشق فالنصف، كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد.

- (١) قال محمود: «إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل... الخ؟ قال أحمد: ومدار هذا التفسير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها.
- (٢) قوله: «وتجاوب فيها الثغاء والرغاء» الثغاء صوت الشاء والمعز وما شاكلهما. والرغاء صوت ذوات الخف، كذا في الصحاح.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِأَلْفِيهِ﴾: كأنهم كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم.

قلت: معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم، لا أنهم لم يكونوا بالفيه في الحقيقة.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِأَلْفِيهِ﴾ قوله: (وتحمل أثقالكم)، وهلا قيل: لم تكونوا حامليها إليه^(١)؟

قلت: طباقه من حيث إن معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى: لم تكونوا بالفيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: أثقالكم أجرامكم، وعن عكرمة: البلد مكة، ﴿لَرَأَوْفٌ رَّجِيءٌ﴾؛ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِّكْبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾: عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة، ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام.

فإن قلت: لم انتصب ﴿وَزِينَةً﴾؟

قلت: لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل لركبوها.

فإن قلت: فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد^(٢)؟

(١) قال محمود: «إن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالفيه قوله وتحمل أثقالكم... إلخ؟» قال أحمد: ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه بها إلا بشق الأنفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لأن العادة أن المسافر لا يستغني عن أثقال يستصحبها والمعنى الأول أعلى، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد... إلخ؟» قال أحمد: يعني فجاز أن ينتصب مجرداً من لام التعليل لأنه فعل فاعل الفعل الأول، ويعينه اقتران الركوب باللام لأنه فعل المخاطبين، ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام، وفي هذا الجواب نظر، فإن لقاتل أن يقول: كان من الممكن مجيئهما معاً باللام فيأتيان على سنن واحد. ولا غرو في ذلك فالسؤال قائم، والجواب العتيد عنه: أن المقصود المعتبر الأصلي في هذه الأصناف هو الركوب. وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب «فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة التعليل، تنبيهاً على أنه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيهاً على تبعيته أو قصوره عن الركوب، والله أعلم.

قلت: لأنّ الركوب فعل المخاطبين، وأما الزينة: ففعل الزائين وهو الخالق، وقرئ: «لتركبوها زينة»: بغير واو، أي: وخلقها زينة لتركبوها، أو تجعل زينة حالاً منها، أي: وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: يجوز أن يريد به: ما يخلق فينا وننا مما لا نعلم كنهه وتفصيله ويمنّ علينا بذكره كما منّ بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته، ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلاق ما لا علم لنا به، ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك، وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه، وقد حمل على ما خلق في الجنة النار، مما لم يبلغه وهم أحد، ولا خطر على قلبه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩)

لمراد بالسبيل: الجنس؛ ولذلك أضاف إليها القصد وقال: (ومنها جائر)، والقصد مصدر بمعنى: الفاعل وهو القاصد، يقال: سبيل قصد وقاصد، أي: مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أن هداية الطريق الموصل^(١) إلى الحق واجبة عليه^(٢)؛ كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (الليل: ١٢).

فإن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَايِرٌ﴾؟

قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة^(٣) لقليل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرهما أو وعليه الجائر، وقرأ عبد الله:

(١) قال محمود: «ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة... إلخ» قال أحمد: أين يذهب به عن تمة الآية. وذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لكان الكلام: وقد هداكم أجمعين. وما كأنهم إلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فإن ذهبوا إلى تأويل الهداية بالقسر والإلجاء، فما كأنهم إلا يحرفون الكلم من بعد مواضعه. وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلأن سياق الكلام لإقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر، وهدي قوماً اختاروا الهدى، وأضل قوماً اختاروا الضلالة لأنفسهم. وقد تقدم في غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران، هو من حيث كونه موجوداً. مخلوق لله تعالى ومضاف إليه بهذا الاعتبار، هو من حيث كونه مقترناً باختيار العبد له وبتأنيه له وتيسره عليه يضاف إلى العبد، وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت في كل فعل، فتناسب إقامة الحجة على العباد إضافة الهداية إلى الله تعالى باعتبار خلقه لها، وإضافة الضلال إلى العبد باعتبار اختياره له، والحاصل أنه ذكر في كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة في الآخر، ليناسب ذلك إقامة الحجة ﴿ألا لله الحجة البالغة﴾ والله الموفق للصواب.

(٢) قوله: «الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه» هذا مذهب المعتزلة ولا وجوب عليه تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى؛ لكن الكريم يبرز الوعد بالخير في صورة الواجب (ع).

(٣) قوله: «ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقليل: وعلى الله قصد السبيل» يعني أهل السنة من أنه تعالى يخلق الشر كالخير. وقوله: «لقليل» إلخ: الملازمة ممنوعة لأن الكريم يحب الخير دون الشر، وإن كان كل منهما من عنده (قل كل من عند الله). (ع).

«ومنكم جائر»، يعني: ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره، والله بريء منه، ﴿وَلَوْ سَاءَ فَعَدْتُمْ أَجْمَعِينَ﴾: قسراً وإلجاء^(١)

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لكم﴾: متعلق بأنزل، أو بشراب؛ خيراً له، والشراب ما يشرب، ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي، وفي حديث عكرمة: لا تأكلوا ثمن الشجر؛ فإنه سحت (٨٢٦)، يعني: الكلال، ﴿تُسِيمُونَ﴾: من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة، وأسامها صاحبها، وهو من السومة وهي العلامة؛ لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض، وقرئ: «ينبت»: بالياء والنون.

فإن قلت: لم قيل: ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ / ١٩٠ ب؟

قلت: لأن كل الشمرات لا تكون إلا في الجنة؛ وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة، ﴿يَنْفَكُونَ﴾: ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته، والآية: الدلالة الواضحة، وعن بعضهم: «يُنْبِتُ»: بالتشديد، وقرأ أبي بن كعب: «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب»: بالرفع.

٨٢٦ - قال الزيلعي: غريب.

وبمعناه ما رواه عبد الرزاق في مُصنّفه، عن وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السُّحت»، قالوا: وما السحت يا رسول الله؟ قال: «بيع الشجر وثمر الخمر، وإجارة الأمة المساحقة». وذكره عبد الحق في أحكامه، في البيوع من جهة عبد الرزاق، وقال: هذا مرسل، وحديث عكرمة أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال موقوفاً عليه. قال الحافظ في تخرّيج الكشاف:

أخرجه أبو عبيد في الأصول عنه موقوفاً وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السحت قالوا: وما السحت؟ قال: بيع الشجر وثمر الخمر وإجارة الأمة المساحقة». انتهى.

(١) قوله: «ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإلجاء» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً، وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح، وهداية الكل صلاح؛ فظاهر الآية يخالف مذهبهم. ولذا قالوا: إنه أراد هداية الكل، لكن إرادة لا تنافي تخيير العبد، لئلا يبطل تكليفه. وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد. وأهل السنة لم يوجبوا على الله تعالى شيئاً، وكل ما أراه الله لا بد من وقوعه. وهذه الإرادة لا تنافي اختيار العبد عندهم لما تقرّر له من الكسب، كما بين في علم التوحيد (ع).

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٢)

قرئت كلها بالنصب على: وجعل النجوم مسخرات، أو على أن معنى تسخيرها للناس: تصييرها نافعة لهم؛ حيث يسكنون بالليل، وبيتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم، فكأنه قيل: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره، ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر، بمعنى: تسخير، من قولك: سخره الله مسخراً؛ كقولك: سرحه مسرحاً، كأنه قيل: وسخرها لكم تسخيرات بأمره، وقرئ: بنصب الليل والنهار وحدهما، ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر، وقرئ: «والنجوم مسخرات»: بالرفع، وما قبله بالنصب، وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: فجمع الآية، وذكر العقل؛ لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٣)
﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾: معطوف على الليل والنهار، يعني: ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّوَدَّعًا وَتَسْتَوْنَهَا وَرَكِبَ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤)
﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾: هو السمك، ووصفه بالطراءة؛^(١) لأن الفساد يسرع إليه^(٢)، فيسارع إلى أكله خيفة للفساد عليه.

فإن قلت: ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً. فأكل سمكاً، لم يحنث، والله - تعالى - سماه لحماً كما ترى؟

قلت: مبني الإيمان على العادة، وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق ألا يفهم منه السمك، وإذا قال الرجل لغلامه: اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك، كان حقيقاً بالإنكار، ومثاله: أن الله - تعالى - سمى الكافر دابة في قوله: إن شرّ الدواب عند الله

(١) قوله: «بالطراءة» في الصحاح: طرو اللحم. وطرى طراوة وطراء وطراة (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «هو السمك، ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه... إلخ» قال أحمد: فكان ذلك تعليم لأكله وإرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً. والأطباء يقولون: إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون، والله أعلم.

الذين كفروا، فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث، ﴿حِلْيَةٌ﴾: هي اللؤلؤ والمرجان^(١)، والمراد بلبسهم: لبس نسائهم؛ لأنهن من جملتهم، ولأنهن إنما يتزينن بها من أجلهم، فكانها زينتهم ولباسهم، المخر: شق الماء بحيزومها، وعن الفراء: هو صوت جري الفلك بالرياح، وابتغاء الفضل: التجارة.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتَرَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ
وَيَالْتَجِمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن يميل بكم وتضطرب، والمائد: الذي يدار به إذا ركب البحر، قيل: خلق الله الأرض فجعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال، لم تدر الملائكة مم خلقت، ﴿وَأَنْتَرَا﴾: وجعل فيها أنهاراً؛ لأن: (القي): فيه معنى: جعل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَّا تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿١٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿١٧﴾﴾ [النبا: ٦، ٧]، ﴿وَعَلَّمَتِ﴾: هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، والمراد بالنجم: الجنس؛ كقولك: كثر الدرهم في أيدي الناس، وعن السدي: هو الثريا، والفرقدان، وبنات نعش، والجدي، وقرأ الحسن: «وبالتجم»: بضميتين، وبضمة وسكون، وهو جمع نجم، كرهن ورهن، والسكون تخفيف، وقيل: حذف الواو من النجوم تخفيفاً.

فإن قلت: قوله: ﴿وَيَالْتَجِمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: مخرج عن سنن الخطاب، مقدم فيه؛ (النجم)، مقحم فيه (هم)، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، فمن المراد بـ (هم)؟

قلت: كأنه أراد قريشاً: كان لهم اعتداء بالنجوم في مسائرهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم، والاعتبار ألزم لهم، فخصصوا.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

فإن قلت: (من لا يخلق) أريد به الأصنام^(٢)، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم؟

(١) قال محمود: «الحلية هي اللؤلؤ والمرجان... إلخ» قال أحمد: والله در مالك رضي الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها، وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل، فانظر إلى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن، حتى جعل المرأة من مالها وزينتها حلية له، فعبر عن حظه في لبسها بلبسه، كما يعبر عن حظها سواء، مؤيداً بالحديث المروري في الباب، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام... إلخ» قال أحمد: وهو تحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم، وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى، =

قلت: فيه أوجه:

أحدها: أنهم سموها آلهة وعبدها، فأجروها مجرى أولي العلم؛ ألا ترى إلى قوله على أثره: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢١].

والثاني: المشاكلة بينه وبين من يخلق.

والثالث: أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بما لا علم عنده؛ كقوله: ﴿أَلَيْسَ أَزْجَلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥]، يعني: أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وأذان وقلوب؛ لأن هؤلاء أحياء وهم أموات، فكيف تصح لهم العبادة؟ لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا.

فإن قلت: هو إلزام للذين عبدوا الأوثان^(١)، وسموها آلهة؛ تشبيهاً بالله، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فكان حق الإلزام أن يقال لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق؟

قلت: حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه، فقد جعلوا الله - تعالى - من جنس المخلوقات وشبيهاً بها، فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩)

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطبقوا القيام بحقها من أداء الشكر، أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعدّ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩): من أعمالكم، وهو: وعيد.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠) ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢١)

= حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى، ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذا التأويل، ويتمنى له تم لو ذلك. [من البسيط]:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله تعالى وكان من حق الإلزام... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ فجدد بها عهداً.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوه الكفار، ﴿وَمِن دُونِ اللَّهِ﴾، وقرئ: «بالتاء»، وقرئ: «يدعون»: على البناء للمفعول، نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم/ ١٩١ أ صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب، ومعنى: ﴿أَتُوتُ عِزًّا أَحْيَاءُ﴾: أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت كالحَيِّ الذي لا يموت، وأمرهم على العكس من ذلك، والضمير في (يبعثون): للداعين، أي: لا يشعرون متى تبعث عبدتهم، وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير، وهم لا يقدرّون على نحو ذلك، فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها، غير أحياء يعني: أن من الأموات ما يعقب موته حياة، كالنطف التي ينشئها الله حيواناً، وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها، وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة؛ وذلك أعرق في موتها، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكماً بحالها؛ لأنّ شعور الجماد محال^(١)، فكيف بشعور ما لا يعلمه حيّ إلا الحيّ القيوم سبحانه، ووجه ثالث: وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة، وكان ناس منهم يعبدونهم، وأنهم أموات، أي: لا بدّ لهم من الموت، غير أحياء: غير باقية حياتهم، وما يشعرون: ولا علم لهم بوقت بعثهم، وقرئ: «إيان»: بكسر الهمزة.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرَتُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ يعني: أنه قد ثبت بما تقدّم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها: استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوحدانية، وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾: سرهم وعلانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين، ويجوز أن يعمّ كل مستكبر، ويدخل هؤلاء تحت عمومه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَادَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الرِّسَالَ قَالَوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ

(١) قوله: «لأن شعور الجماد محال» أي شعوره بما يشعر به الحيوان محال، فكيف بشعوره بما لا يعلمه حيوان وإنما يعلمه الحي القيوم، وهو وقت البعث. ولعل في عبارة المصنف سقطاً تقديره: شعور الجماد بما يشعر به الحيوان (ع).

الْقَيْمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿مَادًّا﴾: منصوب بأنزل، بمعنى: أي شيء، ﴿أَنْزَلَ رُكُوزًا﴾: أو مرفوع بالابتداء، بمعنى: أي شيء أنزله ربكم، فإذا نصبت فمعنى: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما يدعون نزوله أساطير الأولين، وإذا رفعته فالمعنى: المنزل أساطير الأولين؛ كقوله: ﴿مَادًّا يُنْفَعُونَ قُلُوبَ الْمُغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رفع.

فإن قلت: هو كلام متناقض؛ لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير؟

قلت: هو على السخرية؛ كقوله: إن رسولكم^(١) وهو كلام بعضهم لبعض، أو قول المسلمين لهم، وقيل: هو قول المقتسمين: الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم، ﴿يَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس وصدأً عن رسول الله ﷺ فحملوا أوزار ضلالهم، ﴿كَمَايَلَةٌ﴾: وبعض أوزار من ضل بضلالهم، وهو وزر الإضلال؛ لأن المضل والضال شريكان: هذا يضلّه، وهذا يطاوعه على إضلاله، فيتحاملان الوزر، ومعنى اللام: التعليل من غير أن يكون غرضاً؛ كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حال من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال؛ وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم؛ لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقَيْمَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْفُقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليئسَ مَنْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

القواعد: أساطين البناء التي تعمدّه، وقيل: الأساس، وهذا تمثيل، يعني: أنهم سؤوا منصوبات ليمكروا^(٢) بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعفت، فسقط عليهم

(١) قوله: «على السخرية كقوله إن رسولكم» لعله: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (ع).

(٢) قوله: «ليمكروا بها الله ورسوله» لعل تعدية فعل المكر إلى مفعول تضمنه معنى الخديعة (ع).

السقف وهلكوا؛ ونحوه: من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً، وقيل: هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا، ومعنى إتيان الله: إتيان أمره، ﴿مِنَ الْقَوَائِدِ﴾: من جهة القواعد، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون، وقرئ: «فأتى الله بيتهم»، «فخر عليهم السقف»: بضمين، ﴿يُخْزِبُهُمْ﴾: يذلهم بعذاب الخزي، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ يعني: هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة، ﴿شُرَكَائِكَ﴾: على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم، ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم، ﴿تَشْتَقُونَ فِيهِمْ﴾: تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم، وقرئ: «تساقون»: بكسر النون، بمعنى: تساقونني؛ لأن مشاققة المؤمنين كأنها مشاققة الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾: هم الأنبياء والعلماء من أمهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم، فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاققونهم؛ يقولون ذلك شماتة بهم، وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفاً لمن سمعه، وقيل: هم الملائكة، قرئ: «تتوفاهم»: بالياء والياء، وقرئ: «الذين توفاهم»: بإدغام التاء في التاء، ﴿فَالْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ اتَّخَفُوا﴾: فسالموا وأختبوا، وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن شَيْءٍ﴾، وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان، فردّ عليهم أولو العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فهو يجازيكم عليه، وهذا - أيضاً - من الشماتة وكذلك: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿خَيْرٌ﴾ أنزل خيراً.

فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟

قلت: فصلاً بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعني: أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي: أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال/ ١٩١ب فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء، وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف، وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك، فيقول: أنا شرّ وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه،

فيلقى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه بصدقه، وأنه نبي مبعوث، فهم الذين قالوا خيراً، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، وما بعده بدل من «خيراً»؛ حكاية لقوله الذين اتقوا، أي: قالوا هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاها، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً عدة للقائلين، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه، ﴿حَسَنَةً﴾: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها؛ كقوله: ﴿فَقَالَتْهُمْ أَلَلَّهُ تُوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تُوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ﴿وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾: دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره، و﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: خير مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح: ﴿مُطَيَّبِينَ﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم، ﴿يَتُوبُونَ سَلَامًا عَلَيْكُمْ﴾: قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: قرئ بالتاء والياء، يعني: أن تأتيهم لقبض الأرواح، و﴿أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: العذاب المستأصل، أو القيامة، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: بتدميرهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير، ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: جزاء سيئات أعمالهم، أو هو كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

هذا من جملة ما عدّد من أصناف كفرهم وعنادهم، من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله؛ استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعني: أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله، من البحيرة والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه^(١)، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أشركوا وحرّموا

(١) قوله: «وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه» يعني أهل السنة، وليس كما قال، =

حلال الله^(١)، فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم^(٢)، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ﴾: إلا أن يبلغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله - تعالى - من أفعال العباد، وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله - تعالى - باعثهم على جميلها وموفقهم له، وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشية الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله، وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت، ﴿فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ﴾ أي: لطف به؛ لأنه عرفه من أهل اللطف، ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ

بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي. وكل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شراً كان أو خيراً. وكل أمر بقضائه تعالى وقدره، شراً كان أو خيراً. وهو الخالق لأفعال العباد وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك، كما أطال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة (ع).

(١) قال محمود: «يعني أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله... إلخ» قال أحمد: قد تكرر منه مثل هذا الفصل في أخت الآية المتقدمة في سورة الأنعام، وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع إن شاء الله، والذي زاده هنا يثبت معتقده على زعمه بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العباد إلى قسمين: مأمور به ومنهي عنه. والأمر والنهي عند المصنف راجعان إلى المشية بناء على زعم القدرية في إنكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الإرادة، فالحاصل حينئذ من هذه التهمة أن الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت، ولم يشأ منهم أن يشركوا به، وأخبر بهذه المشية على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم، فجاءت التهمة مترجمة عن معنى صدر الآية، مؤكدة بمقتضاها. هذا هو الذي زاده المصنف ههنا، وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعاً، فهو باطل جزماً. والعجب أن الله تعالى أوضح في الآيتين جميعاً أن الذي أنكره من القائلين ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيتته التي لا حجة لهم فيها، مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا ﴿فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وبقوله في آخر آية الأنعام ﴿فَلِلَّهِ الْمُجْتَبَىٰ أَلْبَلَقَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمِيعًا﴾ فتبين أنه هو الذي شاء منهم الإشراك والضلالة، ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهدوا عن آخرهم. وحصل من هذا البيان: صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشية لله تعالى، وذلك هو الذي قدمناه في إقامتهم الحجة على الله بمشيتته، مع أن حججتهم في ذلك داحضة، والله عليهم الحجة البالغة الواضحة، والله الموفق.

(٢) قوله: «وركوه على ربهم» أي اتهموه به.

الضَّلَالَةُ ﴿٢٧﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف؛ لأنه عرفه مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾: ما فعلت بالمكذبيين حتى لا يبقى لكم شبهة في أي لا أقدر الشر ولا أشاؤه؛ حيث أفعال ما أفعال بالأشوار.

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم، وعزفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة، وأنه ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي: لا يلفظ ممن يخذل؛ لأنه عبث، والله تعالى متعال عن العبث؛ لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه، وقرئ: ﴿لَا يَهْدِي﴾^(١)، أي: لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله، وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: دليل على أن المراد بالإضلال: الخذلان الذي هو نقيض النصرة، ويجوز أن يكون: (لا يهدي) بمعنى: لا يهتدي، يقال: هداه الله فهدي، وفي قراءة أبي: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا هَادِيَ لِمَنْ يَضِلُّ﴾، «ولمن أضل»^(٢)، وهي معاضدة لمن قرأ: ﴿لَا يَهْدِي﴾: على البناء للمفعول، وفي قراءة عبد الله: «يهدي»: بإدغام تاء يهتدي، وهي معاضدة للأولى، وقرئ: (يضل): بالفتح، وقرأ النخعي: «إن تحرص»: بفتح الراء، وهي لغية.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ لِيَسِينَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: معطوف على: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ إيذاناً بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان، حقيقتان بأن تحكيا وتدوتنا: توريك ذنوبهم على مشيئة^(٣) الله، وإنكارهم البعث مقسمين عليه، و﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم، ووعد الله: مصدر مؤكد لما دل عليه بلى؛ لأن يبعث موعد من الله، وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب^(٤) على الله؛ لأنهم يقولون: لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره من

(١) قوله: «وقرئ لا يهدي» بالبناء للمجهول، كما أفاده النسفي (ع).

(٢) قوله: «وفي قراءة أبي: فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل» ظاهره أن هذه قراءة أخرى لأبي. فليحزر.

(٣) قوله: «توريك ذنوبهم على مشيئة الله» أي نسبة ذنوبهم إلى مشيئة تعالى واتهامها بها.

(٤) قوله: «أو أنه وعد واجب على الله... إلخ» الكلام في الكفار. وعرض فيه المصنف بأهل السنة تعصبا للمعتزلة في قولهم بوجود الصلاح عليه تعالى فافهم (ع).

مواجب الحكمة، ﴿إِيَّانَ لَهُمْ﴾: متعلق بما دل عليه «بلى» أي: يبعثهم ليبين لهم، والضمير: لمن يموت، وهو عام للمؤمنين والكافرين، والذي اختلفوا فيه هو الحق، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ﴾: كذبوا في قولهم: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، وفي قولهم: لا يبعث الله من يموت، وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضلالة قبله، مفتريين على الله الكذب.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠)

﴿قَوْلُنَا﴾: مبتدأ، و﴿أَنْ نَقُولَ﴾: خبره، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: من كان التامة التي بمعنى: الحدوث والوجود، / ١٩٢ أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل لأن مراداً لا يمتنع عليه، وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف، كوجود المأمور به عند أمر الأمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممثل، ولا قول: ثم، والمعنى: أن إيجاد كل مقدور على الله - تعالى - بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات، وقرئ: «فيكون»: عطفاً على: (نقول).

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآئِجُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: هم رسول الله ﷺ وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله، منهم: من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم: من هاجر إلى المدينة، وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله ﷺ وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم، منهم: بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكر - رضي الله عنه - قال له: ربح البيع يا صهيب، وقال له عمر: نعم، الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه، وهو ثناء عظيم: يريد لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه^(١)، فكيف: ﴿فِي اللَّهِ﴾: في حقه ولوجهه، ﴿حَسَنَةً﴾: صفة للمصدر، أي: لنبوانهم تبوئة حسنة، وفي قراءة علي - رضي الله عنه -: «لنثوينهم»، ومعناه: أثوة حسنة، وقيل: لنزلهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على

(١) قوله: «لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه فكيف» أي فكيف لا يطعه. وقد خلقها لمن عصى (ع).

أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وعن عمر - رضي الله عنه - أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أكثر، وقيل: لنبؤأنهم مباءة حسنة، وهي: المدينة؛ حيث آواهم أهلها ونصروهم، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الضمير: للكفار، أي: لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة، لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك، لزدادوا في اجتهادهم وصبرهم، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على: هم الذين صبروا، أو: أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح، أي: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب، فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المجاهدة، وبذل الأرواح في سبيل الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَشَلُّوا أَحْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣)
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١)
 قالت قریش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾: على السنة الملافة، ﴿فَشَلُّوا أَحْلَ الذِّكْرِ﴾: وهم أهل الكتاب؛ ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾؟

قلت: له متعلقات شتى، فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلًا تحت حكم الاستثناء مع رجالات، أي: وما أرسلنا إلا رجالات بالبينات؛ كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط؛ لأن أصله: ضرب زيداً بالسوط وإما: برجالاً، صف له: أي: رجالات ملتبسين بالبينات، وإما بأرسلنا مضمراً؛ كأنما قيل: بم أرسلوا؟ فقلت: «بالبينات»، فهو على كلامين، والأول على كلام واحد، وإما بيوحي، أي: يوحى إليهم بالبينات، وإما: بلا تعلمون، على أن الشرط في معنى التبييت والإلزام؛ كقول الأجير: إن كنت عملت لك فأعطني حقي، وقوله: ﴿فَشَلُّوا أَحْلَ الذِّكْرِ﴾: اعتراض على الوجوه المتقدمة، وأهل الذكر: أهل الكتاب، وقيل: للكتاب الذكر؛ لأنه موعظة وتنبية للغافلين، ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا.

﴿أَقَامِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَى اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

﴿مَكْرُؤًا الْتَيْنَاتٍ﴾ أي: المكرات السيئات، وهم أهل مكة، وما مكروا به رسول الله، ﷺ^(١)، ﴿وَيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم، ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقيل: هو من قولك: تخوفنه وتخونتته، إذا تنقصته؛ قال زهير [من البسيط]:

تَخَوُّفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوُّفَ عُوذِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ^(٢)

أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا، وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا: التخوف: التنقص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا، وأنشد البيت، فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ﴿فَإِنَّ رَزَاكُم لَزُهُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث يحلم عنكم، ولا يعاجلكم مع استحقاقكم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْهُمْ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ

قريء: «أو لم يروا»، «ويتفيؤا»: بالياء والتاء، و(ما): موصولة بخلق الله، وهو مبهم

(١) قوله: «وما مكروا به رسول الله ﷺ» ضمن المكر معنى الخداع، فعدى إلى المفعول (ع).
 (٢) لأبي كبير الهذلي. وقيل لزهير. والتخوف: التنقص شيئاً فشيئاً. والتامك: السنام المرتفع. والقرد: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. وروي أن عمر قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْخُذْكُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فسكتوا، فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، وأنشد البيت، فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما دايواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم.

البيت لابن مقبل في ملحق ديوانه ص ٤٠٥، ولسان العرب (خوف)، وتهذيب اللغة ٥٩٤/٧، ٤/١٣، ولذي الرمة في ملحق ديوانه ص ١٩١٧، ولسان العرب (سفن)، ولذي الرمة أو لابن مقبل في تاج العروس (سفن)، ولزهير في أساس البلاغة (خوف)، وليس في ديوانه، ولعبد الله بن عجلان النهدي في تاج العروس (خوف)، ولقنن بن أم صاحب في سمط اللآلي ص ٧٣٨، وبلا نسبة في المخصص ٢٧٧/١٣، وتاج العروس (خوف)، وأمالى القالي ١١٢/٢.

بيانه، ﴿مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيئُ ظِلَّكَ﴾، واليمين: بمعنى الأيمان، و﴿سُجَّدًا﴾: حال من الظلال، ﴿وَهُمْ ذَكِرُونَ﴾: حال من الضمير في ظلاله؛ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب، والمعنى: أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها/ ١٩٢ ب ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء، أي: ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة الله، غير ممنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها داخرة - أيضاً - صاغرة منقادة لأفعال الله فيها، لا تمتنع.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً، على أن في السموات خلقاً لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الخلق الذي يقال له: الروح، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الملائكة، وكرّر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصاً من بين الساجدين؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم، ويجوز أن يراد بما في السموات: ملائكتهم، ويقوله والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم.

فإن قلت: سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم^(١)، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد؟

قلت: المراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم: انقياده لإرادة الله وأنها غير ممنعة عليها، وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم يختلفا؛ فلذلك جاز

(١) قال محمود: «إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد... إلخ؟ قال أحمد: وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولاً ولم يرد ذلك متناقضاً، فإن السجود يتناول هل المكلف حقيقة يتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه، وقد أريد جميعاً من الآية، والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه، هذا وظاهر مراده هنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف، وهو عدم الامتناع عند القدرة، وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ مترادفاً فيهما جميعاً، ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، لأنه يأبى ذلك، ولا يتم له هذا المقصد في الآية - والله أعلم - لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوباً للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعاً، الذي يكون ذكره سبباً لفعلة سببية معتادة في عزائم السجود، لا القدر الأعم المشترك، والله أعلم.

أن يعبر عنهما بلفظ واحد.

فإن قلت: فهلا جيء بمن دون «ما»: تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم؟
قلت: لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب، فكان متناولاً للعقلاء خاصة،
فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم، إرادة العموم، ﴿يَخَافُونَ﴾: يجوز أن يكون حالاً من
الضمير^(١) في (لا يستكبرون)، أي: لا يستكبرون خائفين، وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار
وتأكيداً له؛ لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته، ﴿مِن قَوْعِهِمْ﴾: إن علقته بيخافون،
فمعناه: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن علقته بربهم حالاً منه فمعناه:
يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً؛ كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَأَنَّا
قَوَّعَهُمْ قَهْرُونَ﴾: وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد
والوعيد كسائر المكلفين، وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَدَّوْا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدْ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ (٥١)

فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا عندي
رجال ثلاثة وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص، وأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان، فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل
واحد ورجلان اثنان، فما وجه قوله إلهين اثنين^(٢)؟

قلت: الاسم الحامل لمعنى الأفراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد
المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو
العدد شفع بما يؤكد، فدل به على القصد إليه والعناية به؛ ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو
إله، ولم تؤكد بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية، ﴿فَأِنِّي
فَازَهُبُونَ﴾: نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم؛ وجاز لأن الغالب هو المتكلم، وهو من
طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله
على لفظ المتكلم.

﴿وَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَأَصْبَحَ أَفْعَرًا اللَّهُ نَشْفُونَ﴾ (٥٢)

- (١) قال محمود: «يجوز أن يكون حالاً من الضمير... إلخ» قال أحمد: هذا الثاني هو الوجه ليس
الأول، وأما الحال فيعطي انتقالاً، ويوهم تقييد العدم استكبارهم، مع أن الواقع أو عدم استكبارهم
مطلق غير مقيد بحال، والله الموفق.
- (٢) قال محمود: «إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع إغناء التثنية عن ذلك... إلخ» قال أحمد: وهذا
الفصل من حسناته التي لا يدافع عنها، والله الموفق.

﴿الَّذِينَ﴾: الطاعة، ﴿وَأَصْبَاءُ﴾: حال عمل فيه الظرف، والواصب: الواجب الثابت؛ لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز أن يكون من الوصب، أي: وله الدين ذا كلفة ومشقة؛ ولذلك سمي تكليفاً، أو: وله الجزاء ثابتاً دائماً سرمداً لا يزول، يعني: الثواب والعقاب.

﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ﴾: وأي شيء حل بكم، أو اتصل بكم من نعمة، فهو من الله، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾: فما تتضرعون إلا إليه، والجوار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة؛ قال الأعشى يصف راهباً [من المتقارب]:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيحِ كِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا^(١)

وقرى: «تجرون»: بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم، وقرأ قتادة: كاشف الضرر على: فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف؛ لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؟

قلت: يجوز أن يكون الخطاب في قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ عاماً، ويريد بالفريق: فريق الكفرة، وأن يكون الخطاب للمشركين، ومنكم للبيان، لا للتبويض، كأنه قال: فإذا فريق كافر، وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ إِلَى آلِئِذٍ فَيَنْهَضُ الْمُتَّقِينَ﴾ [القمان: ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾: من نعمة الكشف عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، ﴿فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تخلية ووعيد، وقرئ: «فيمتعوا»: بالياء مبنياً للمفعول، عطفاً على: (ليكفروا)، ويجوز أن يكون: ليكفروا

(١) وما أبلي على هيكلي
يرواح من صلوات المليلح
بأعظم منك تقى في الحساب
بناه وصلب فيه وصاراً
ك طوراً سجوداً وطوراً جواراً
إذا النسيمات نفضن الغباراً

للأعشى. والأبلي: الراهب، نسبة إلى أبل وهو قيم البيعة. والهيكل: بيت الصنم. وصلب: أي صور الصليب. وألف صاراً للإطلاق. ويرواح: خبره، وإن لزم عليه التضمين مراعاة لجزالة المعنى، والمراوحة في العمل: الانتقال من حالة إلى أخرى. والصلوات: الدعوات. والسجود: الانخفاض والخشوع. والجوار: رفع الصوت بالدعاء. وبأعظم: خبر أبلي. وتقى: تميز. يقول ليس الراهب العاكف على هيكله الذي صور فيه الصليب، وصار يتابع ويتنقل من بعض دعوات الله إلى بعض، فتارة يسجد سجوداً، وتارة يجار جواراً، تفاه أعظم من تقاك يوم الحساب إذا قام الناس من قبورهم، فنفضهم الغبار كناية عن ذلك.

فيمتصوا، من الأمر الوارد في معنى: الخذلان والتخلية؛ واللام: لام الأمر.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْتَفْتَنَ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآلهتهم، ومعنى: لا يعلمونها: أنهم يسمونها آلهة، ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله، وليس كذلك؛ وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع، فهم إذا جاهلون بها، وقيل: الضمير في (لا يعلمون): للآلهة، أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا؟ وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً إليهم/ ١٩٣ أ، ﴿لَتُسْتَفْتَنَ﴾: وعيد، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من الإفك في زعمكم أنها آلهة، وأنها أهل للتقرب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْغَوْرِ مِنْ سَوْءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

كانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيه لذاته من نسبة الوالد إليه، أو تعجب من قولهم: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين، ويجوز في: (ما يشتهون): الرفع على الابتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور، و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار^(١)، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى: الصيرورة، ويجوز أن يجيء ظل؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتماً مرید الوجه^(٢) من الكآبة والحياء من الناس، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء حقاً على المرأة، ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْغَوْرِ﴾: يستخفي منهم، ﴿مِنْ﴾: أجل، ﴿سَوْءِ﴾: المبشر به، ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به، ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: على هوان وذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: أم يثده^(٣)، وقرئ: «أيمسكها على هون أم يدسها»: على التانيث، وقرئ: «على هوان» ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله، ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف.

- (١) قال محمود: «ظل بمعنى صار» قال أحمد: وجاز أن يراد الظلول نهاراً لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لو عرجوا نهاراً في الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء إلى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم، والله أعلم.
- (٢) قوله: «ويجوز أن يجيء ظل... إلخ» قال أحمد: أي يرد ويستعمل في الآية بمعنى الأصلي، وهو اتصاف الشيء بصفة نهاراً فقط، لأن أكثر الوضع... إلخ. ومرید الوجه: متعبه من الغضب، كما يفيد الصالح (ع).

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾﴾

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة السوء: وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق، وإقراهم على أنفسهم بالشح البالغ، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: وهو الغني عن العالمين، والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم.

﴿وَلَوْ يَأْتِيهِ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: بكفرهم ومعاصيهم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين، وعن أبي هريرة: أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بلى والله، حتى أن الحباري لتموت في وكرها بظلم الظالم (٨٢٧)، وعن ابن مسعود: كاد الجمل يهلك في حجره بذنب ابن آدم (٨٢٨)، أو من دابة ظالمة، وعن ابن عباس، (من دابة): من مشرك يدب عليها، وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء.

٨٢٧ - أخرجه الطبري (٦٠١/٧) رقم (٢١٦٦٩)، البيهقي في الشعب (٥٤/٦) حديث رقم (٧٤٧٩).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبري والبيهقي في الشعب التاسع والأربعين، وفي إسناده محمد بن جابر التمامي وهو متروك. انتهى.

٨٢٨ - أخرجه الطبري (٦٠١/٧) رقم (٢١٦٧١)، الحاكم (٤٢٨/٢).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم والطبراني من طريق أبي الأحوص قال: قرأ ابن مسعود: ولو يؤاخذ الله الناس - الآية قال: كاد الجمل يعذب في حجره بذنب ابن آدم. انتهى.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «قوله معطوفان على محل «لَيْبَيْنِ» ليس بصحيح، لأن محله ليس نصباً، فيعطف منصوباً ألا ترى أنه لو نصب لم يجز لاختلاف الفاعل». قلت: الزمخشري لم يجعل النصب لأجل المعطف على المحل، وإنما جعله بوصول الفعل إليهما. لاتحاد الفاعل كما صرّح به فيما حكّيته عنه أيضاً، وإنما جعل المعطف لأجل التشريك في العِلَّةِ لا غير، يعني أنهما علتان، كما أن «لَتَبَيْنِ» عِلَّةٌ. ولئن سلمنا أنه نصب عطفاً على المحل، فلا يضر ذلك. قوله: «لأن محله ليس نصباً» متوعد، وهذا ما لا خلاف فيه، من أن محل الجار والمجرور النصب، لأنه فضلة إلا أن يقوم مقام مرفوع، ألا ترى إلى تخريجهم قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ في قراءة النصب على المعطف على محل «بِرؤوسكم» ويجيزون «مررت بزيد وعمراً»، على خلاف في ذلك بالنسبة إلى القياس وعدمه، لا في أصل المسألة، وهذا بحث حسن تركه المردود عليه. انتهى. الدر المنصور.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمْ

النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسلمهم^(١)، والتهاون برسالاتهم، ويجعلون له أرذل أموالهم وأصنامهم أكرمها، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ﴾: مع ذلك، ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾: عند الله؛ كقوله: ﴿وَلَيْنَ تُجِئْتُمُ إِلَّا رِيْبَةً إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى: هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة، وإذا قال: هاتوا ما دفع إلي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له، أما تستحي من ذلك الموقف؟ وقرأ هذه الآية، وعن مجاهد: أن لهم الحسنى، هو قول قريش: لنا البنون، وأن لهم الحسنى: بدل من الكذب، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب، صفة للالسة، ﴿مُفْرَطُونَ﴾ قرئ: مفتوح الراء ومكسورها مخففاً ومشدداً، فالمفتوح بمعنى: مقدّمون إلى النار معجلون إليها، من أفرطت فلاناً، وفرطته في طلب الماء، إذا قدمته، وقيل: منسيون متروكون، من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته، والمكسور المخفف، من الإفراط في المعاصي، والمشدد، من التفريط في الطاعات وما يلزمهم.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾: حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها، أو فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا، ومعنى (وليهم): قريتهم وبش القرين، أو يجعل: (فهو وليهم اليوم): حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار، أي: فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره، نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم، فهو ولي وهؤلاء؛ لأنهم منهم، ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي: فهو ولي أمثالهم اليوم.

(١) قال محمود: «المراد بما يكرهونه البنات، وشركاء في رياستهم، واستخفاف برسلمهم... إلخ» قال أحمد: ونقيض هؤلاء من إذا أعجبه شيء من ماله جعله لله، بل إذا أحب أمة له اعتقها، وإذا انتهى طعاماً قدم إليه تصدق به على حبه، وإنما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة، كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها، ويجعلون لله ما يشتهون. اللهم إن لم ننل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم، فمن أحب قوماً حشر معهم.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان على محل، (لتبيين): إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما؛ لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب، ودخل اللام على لتبين، لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل؛ وإنما ينتصب مفعولاً له ما كان فعل فاعل الفعل المعلن، والذي اختلفوا فيه: البعث؛ لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب، وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار، ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع إنصاف وتدبر؛ لأن من لم يسمع بقلبه؛ فكأنه أصم لا يسمع.

﴿وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرَ بِطُغْيَانِهِمُ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرِ بَنِي خَالِصًا سَائِبًا

لِلشَّرِيِّينَ﴾ (٦٦)

ذكر سبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال؛ كقولهم: ثوب أكياش؛ ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، وأما (في بطونها): في سورة المؤمنين؛ فلأن معناه: الجمع، ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان، أحدهما: أن يكون تكثير نعم^(١) كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر «نعم» في قوله [من الرجز]:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعْمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ^(٢)

(١) قوله: «أن يكون تكثير نعم» لعله «تكسير» بالسین (ع).

(٢) في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه

أربابه نوكي فلا يحمونه ولا يلاقون طمانادونه

أنعم الأبناء تحسبونونه؟ هيهات هيهات لما ترجونه

لصبي من بني أسد اسمه قيس بن الحصين الحارثي. والنعم: اسم جمع يعامل معاملة المفرد. وقد يراعى معناه فيعامل كالجمع. والأنعام عده سبويه من المفردات المعنوية على أفعال، كأخلاق وأمشاج، فيعامل بالتذكير تارة اعتباراً بلفظه، وبالتأنيث أخرى اعتباراً بمعناه. وقيل: هو جمع نعم كأسباب وسبب، والكلام تحسر وتحزن في صورة الأخبار، ويحتمل تقدير همزة الاستفهام التوبيخي أو التعجبي قبل في، أي: أفي كل عام تفعلون ذلك. وروي: أكل عام، بالاستفهام. وكل: نصب على الظرفية. وفيه الأخبار بالزمان عن اسم العين وهو نعم. إما لأنه يشبه المعنى لتجدده كل عام كما قاله ابن مالك وغيره في مثله. أو على تقدير مضاف كما ذهب إليه جمهور البصريين، أي: نهب نعم. وجملة تحوونه: صفة نعم، ويجوز أنها خبره، وكل عام: ظرف لتحوونه، وقدم لأنه =

وإذا أنت ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع^(١)، وقرئ: ﴿شُنَيْكُ﴾:

محط الاستفهام. وعليه فالمسوغ للابتداء بنعم وقوعه في حيز الاستفهام. أو تقديم معمول الخبر عليه لأنه كتقديم الخبر. يلحقه قوم أي يطلقون فحوله على إناثه فتحمل عندهم. وتتجونه أنتم: أي تستولدونه عندكم، كناية عن نهيه منهم. والأرباب الأصحاب. والنوكى: جمع أنوك كحمقى جمع أحق وزنا ومعنى. والطعان: المطاعنة بالرمح، أي: لا يحاربون أمامه ويصبرون للحرب. وقوله أنعم: استفهام إنكاري تويخي، أي: لا تحسبوا نعمنا نعم أولئك الحمقى الضعاف. وهيهات بمعنى بعد، وكرره للتوكيد وقطع الأطماع. وقوله: «لما ترجونه» متعلق بمحذوف، أي: أقول ذلك لما ترجونه، واللام فيه لتبيين الفاعل. ويجوز أنها زائدة فيه، والرجا: الطمع، ويجوز أنه الظن.

لقيس بن حصين في خزنة الأدب ٤٠٩/١، والكتاب ١٢٩/١، ولصبي من بني سعد قيل إنه قيس بن الحصين في المقاصد النحوية ٥٢٩/١، ولحصين بن زيد في شرح أبيات سيبويه ١١٩/١، ولرجل ضبي في الأغاني ٢٥٦/١٦، وبلا نسبة في لسان العرب (أبل)، (نعم)، والأشياء والنظائر ١٠٢/٣، والإنصاف ص ٦٢، وتخليص الشواهد ص ١٩١، والرد على النحاة ص ١٢٠، واللمع في العربية ص ١١٣، والمخصص.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما ما ذكره عن سيبويه ففي كتابه في: «هذا باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل»، ما نصه: «وَأَمَّا أَجْمَالٌ وَقُلُومٌ، فَإِنَّهَا تَنْصَرَفُ وَمَا أَشْبَهَهَا؛ لِأَنَّهَا ضَارَعَتْ الْوَاحِدَ أَلَّا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: أَقْرَالٌ وَأَقَارِيلٌ، وَأَعْرَابٌ وَأَعَارِبٌ، وَأَيْدٌ وَأَيَادٌ. فَهَذِهِ الْأَحْرَفُ تَخْرُجُ إِلَى مِثَالِ مَفَاعِلٍ وَمَفَاعِيلٍ، كَمَا يُخْرَجُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ إِذَا كَثُرَ لِلْجَمْعِ، وَأَمَّا مَفَاعِلٌ وَمَفَاعِيلٌ فَلَا يَكْسَرُ، فَلَا يَخْرُجُ الْجَمْعُ إِلَى بِنَاءٍ غَيْرِ هَذَا؛ لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ هُوَ الْغَايَةُ، فَلَمَّا ضَارَعَتْ الْوَاحِدَ ضَرَفَتْ». ثم قال: «وكذلك الفُعُولُ لو كُسِّرَتْ، مثل القُلُومِ، لِأَنَّ تَجْمِيعَ جَمِيعًا لِأَخْرَجَتْهُ إِلَى فَعَائِلٍ، كَمَا تَقُولُ جَدُودٌ وَجَدَائِدٌ، وَرَكُوبٌ وَرَكَابٌ. وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِمَفَاعِلٍ، وَمَفَاعِيلٍ لَمْ تَجَاوِزْ هَذَا الْبِنَاءَ. وَيَقْوَى ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ تَقُولُ أَبِي لِلوَاحِدِ، فَيَضُمُّ الْأَلْفَ، وَأَمَّا أُنْعَالٌ فَقَدْ يَقَعُ لِلوَاحِدِ، مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْأَنْعَامُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شُنَيْكُ تِمًا فِي بُلُوتَيْهِ﴾. وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: «سَمِعْتُ مِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: هَذَا نُؤَبٌ أَكْيَاشٌ». قَالَ: «وَالَّذِي ذَكَرَ سَبِيوِيهِ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَفَاعِلٍ وَمَفَاعِيلٍ، وَبَيْنَ أُنْعَالٍ وَأُنْعُومٍ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ أَبْنِيَةً لِلْجَمْعِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَفَاعِلَ وَمَفَاعِيلَ لَا يَجْمَعَانِ، وَأُنْعَالًا وَأُنْعُومًا قَدْ يَخْرُجَانِ إِلَى بِنَاءٍ يَشْبَهُ مَفَاعِلَ أَوْ مَفَاعِيلَ، فَلَمَّا كَانَا قَدْ يَخْرُجَانِ إِلَى ذَلِكَ أَنْصَرَفَا، وَلَمْ يَنْصَرَفِ مَفَاعِلٌ وَمَفَاعِيلٌ لِشِبْهِ ذَيْنِكَ بِالْمَفْرُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُمْكِنُ جَمْعُهُمَا، وَامْتِنَاعُ هَذَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ ثُمَّ قَوِيَّ شِبْهُهُمَا بِالْمَفْرُودِ بِأَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ فِي أُتَيْ: أُتِي بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ جَاءَ نَادِرًا «فُعُولٌ» مِنْ غَيْرِ الْمَصْدَرِ لِلْمَفْرُودِ، وَبِأَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قَدْ يَقَعُ أُنْعَالًا لِلْمَفْرُودِ مِنْ حَيْثُ أُفْرِدَ الضَّمِيرُ، فَيَقُولُ: «هُوَ الْأَنْعَامُ»، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ فِي مَعْنَى التَّعْمِ، وَالتَّعْمُ مُفْرَدٌ كَمَا قَالَ [مَنْ الْوَافِرُ]:

تَرَكْنَا الْخَيْلَ وَالتَّعْمَ الْمُفْدَى وَكُنَّا لِلنِّسَاءِ: بِهَا أَقْسَمِي.

وذلك قال سيبويه: «وإنما أفعال فقد يقع للواحد». فقوله: «قد يقع للواحد» دليل على أنه ليس ذلك بالوضع، فقول الزمخشري: «أنه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال» تحريف في اللفظ. وفهم عن سيبويه ما لم يرد، ويدل على ما قلناه أن سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نص على أن أفعالاً ليس من أبنيتها. قال سيبويه في باب ما لحقته الزيادة من بنات الثلاثة: «وليس في الكلام» «أفعل»، ولا أفعلون، ولا أفعال، ولا أفعل، ولا أفعال. إلا أن تكسر عليه اسماً للجمع». قال: «فهذا نص منه على أن أفعالاً لا يكون في الأسماء المفردة». قلت: الذي ذكره الزمخشري هو =

بالفتح والضم، وهو استئناف، كأنه قيل: كيف العبرة، فقيل نسقيكم، ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ أي: يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله، قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقرّ في كرشها طبخته، فكان أسفلها فرثاً، وأوسطه لبناً، وأعلىها دماً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، وتبقي الفرث في الكرش - فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته/ ١٩٣ ب لمن تفكر وتأمل - وسئل شقيق عن الإخلاص؟ فقال: تمييز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من بين فرث ودم، ﴿سَائِغًا﴾: سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يغص أحد باللبن قط، وقرئ: «سيفاً»: بالتشديد. «وسيفاً»: بالتخفيف، كهين ولين.

فإن قلت: أي فرق بين «من» الأولى والثانية؟

قلت: الأولى للتبعيض؛ لأن اللبن بعض ما في بطونها؛ كقولك: أخذت من مال زيد ثوباً، والثانية: لابتداء الغاية؛ لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبدأ، فهو صلة لنسقيكم؛ كقولك: سقيته من الحوض، ويجوز أن يكون حالاً من قوله: (لبناً): مقدماً عليه، فيتعلق بمحذوف، أي: كائناً من بين فرث ودم؛ ألا ترى أنه لو تأخر فقيل: لبناً من بين فرث ودم كان صفة له؛ وإنما قدم لأنه موضع العبرة، فهو قمن بالتقديم، وقد احتج بعض من يرى أن المنى طاهر على من جعله نجساً، لجريه في مسلك البول بهذه الآية، وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر، كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها؛ وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: بيان وكشف عن كنه الإسقاء، أو يتعلق بتخذون، ومنه من تكرير الظرف للتوكيد؛ كقولك: زيد في الدار فيها، ويجوز أن يكون: (تتخذون): صفة موصوف محذوف؛ كقوله [من الرجز]:

= ظاهر عبارة سيويه، وهو كافي في تسويغ عود الضمير مفرداً، وإن كان «أفعال» قد يقع موقع الواحد مجازاً، فإن ذلك ليس بضائر فيما نحن بصدده، ولم يحرف لفظه، ولم يفهم عنه غير مراده، لما ذكرته من هذا المعنى الذي قصدته، وقيل: إنما دُكر الضمير، لأنه يعود على البعض، وهو الإناث. لأن الذكور لا ألبان لها، فكان العبرة هي في بعض الأنعام. انتهى. الدر المصون.

..... بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ^(١)

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر.

فإن قلت: فالإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفًا مكرزًا؟

قلت: إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ إلى الأهل المحذوف، والسكر: الخمر، سميت بالمصدر من سَكَرَ سُكْرًا أو سَكَرًا؛ نحو: رَشِدَ رُشْدًا وَرَشْدًا؛ قال [من الوافر]:

وَجَاءُوا نَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا فَأَجَلَى الْيَوْمَ وَالسُّكْرَانُ صَاحِبِي^(٢)

وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون منسوخة، وممن قال بنسخها: الشعبي والنخعي، والثاني: أن يجمع بين العتاب والمنة، وقيل: السكر: النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله ﷺ: «الْحَمْرُ حَرَامٌ لِعَيْنِهَا وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ» (٨٢٩)، وبأخبار جملة، ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي - قدس الله روحه - غير كتاب في

٨٢٩ - أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/١٢٤) عن علي مرفوعاً، وأخرجه الشافعي (٨/٣٢١) رقم (٥٦٨٣)، =

(١) مالك عندي غير سوط وحجر وغير كبداء شديدة الوتر

جادت بكفي كان من أرمى البشر

السوط: آلة للضرب، معمولة من الجلد. وكبداء صفة لمحذوف، أي قومس كبداء غليظة الكبد، أي المقيض. وقيل: وأسعته. والوتر: حبل تشد به القوس. وجادت: صارت جيدة. ويروى بدله: ترمى. وشبه الرمي لها مجاز عقلي. وكفي مضاف لمحذوف قامت صفة في اللفظ مقامه، وهي جملة «كان» وحذف المنعوت الأول مطرد، والثاني ضرورة؛ لأنه لا يجوز حذف المنعوت إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو «في»، أو صلح نعته لمباشرة العامل. و«كان» هنا ليس للمضي، بل لمجرد الثبوت والدوام، أي: بكفي رجل متصف بأنه دائماً من أشد الناس رماً، يعني نفسه. فقيه تجريد. يقول لعدوه: ليس لك عندي غير هذه الأشياء، وهو ضرب من التهديد والتفريع: هدده بالسوط عند القرب، وبالحجر عند المفارقة، وبالسهم عند البعد: ويروى «سهم» بدل سوط، فيضيع الترتيب.

ينظر: الخصائص (٢/٣٦٧)، وابن يعيش (٣/٥٩)، والإنصاف (١١/١١٥)، والمغني (١/١٦٠)، والتصريح (٢/١١٩)، خزانة الأدب (٥/٦٥)، الدرر (٦/٢٢)، شرح الأشموني (٢/٤٠١)، شرح المفصل (٣/٦٢)، لسان العرب (كون)، (من)، مجالس ثعلب (٣/٥١٣)، المحتسب (٢/٢٢٧)، المقاصد النحوية (٤/٦٦)، المقتضب (٢/٣٩)، المقرب (١/٢٢٧)، مع الهوامع (٢/١٢٠)، تاج العروس (كون، من) الدر المصون (٣/٢٠٦).

(١) تقدم.

تحليل النبيذ، فلما شيخ^(١) وأخذت منه السنّ العالية قيل له: لو شربت منه ما تقوى به، فأبى. فقيل له: فقد صنعت في تحليله، فقال: تناولته الدعارة^(٢) فسمح في المروءة، وقيل: السكر: الطعم^(٣)؛ وأنشد [امن الرجز]:

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الْكِرَامِ سَكْرًا

أي: تنقلت بأعراضهم^(٤)، وقيل: هو من الخمر، وإنه إذا ابتكر^(٥) في أعراض الناس، فكأنه تخمر بها، والرزق الحسن: الخل، والرب، والتمر، والزبيب، وغير ذلك، ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً، كأنه قيل: تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنيقتها^(٦) في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى أولي العقول عقولهم، وقرأ يحيى بن وثاب: (إلى النحل): بفتحيتين، وهو مذكر كالنخل، وتأنثه على المعنى: ﴿إِنِ اتَّخِذِي﴾ هي: أن المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ: ﴿بُيُوتًا﴾: بكسر الباء لأجل الباء، و﴿يَعْرِشُونَ﴾: بكسر الراء وضمها، يرفعون من سقوف البيوت، وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي

= (٥٦٨٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه النسائي من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً، ورواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً وفيه محمد بن الفرات الكوفي وهو منكر الحديث. انتهى.

- (١) قوله: «فلما شيخ وأخذت منه السنّ العالية» في الصحاح: شاخ الرجل يشيخ شبيخاً بالتحريك، وشيخ تشيخاً: أي شاخ (ع).
- (٢) قوله: «فقال تناولته الدعارة» في الصحاح: الدعارة الفسق والخبث (ع).
- (٣) قوله: «وقيل السكر الطعم» في الصحاح: الطعم بالضم: الطعام (ع).
- (٤) قوله: «أي تنقلت بأعراضهم» في الصحاح: النقل بالضم ما ينتقل به على الشراب (ع).
- (٥) قوله: «وإنه إذا ابتكر» في الصحاح: ابتكر، أي أسرع في العدو وجد (ع).
- (٦) قوله: «وإلا فنيقتها» أي تأنها. أفاده الصحاح (ع).

تتعسل فيها، والضمير في (يعرشون): للناس.

فإن قلت: ما معنى «من» في قوله: ﴿أَنْ أَتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، وهلا قيل في الجبال وفي الشجر؟

قلت: أريد معنى البعضية، وألاً تبنى بيوتها^(١) في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها، ﴿وَمِنَ كُلِّ الشَّجَرِ﴾: إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل^(٢)، وتعتاد أكلها، أي: أبني البيوت، ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها، فإذا أكلتها: ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾ أي: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو: فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك، أو: إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها، فقد بلغني أنها ربما أجذب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة، أو أراد بقوله: (ثم كلي) ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك، ﴿ذُلَّالًا﴾: جمع ذلول، وهي: حال من السبل؛ لأن الله ذللها لها ووطأها وسهلها؛ كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، أو من الضمير في (فاسلكي) أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة، / ١٩٤ ﴿شَرَابًا﴾: يريد العسل؛ لأنه مما يشرب؛ ﴿مُخْتَلَفًا أَلْوَانًا﴾: منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾؛ لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة، وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك، وتكثيره: إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو: لأن فيه بعض الشفاء، وكلاهما محتمل، وعن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «أَذْهَبْ وَأَسْقِهِ الْعَسْلَ» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع، فقال: «أَذْهَبْ وَأَسْقِهِ عَسَلًا» فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله فبراً؛ كأنما أنشط من عقال،

(١) قال محمود: «قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها... إلخ» قال أحمد: ويتزين هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعض «من» المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل، كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وإن حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض؛ لأن مصلحة الأكل على الإطلاق باستمراء مشتهاها منه. وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع. ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الأمر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات، كما تقول: راع الحلال فيما تأكله، ثم كل أي شيء شئت، فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق، فسبحان اللطيف الخبير.

(٢) قوله: «بالثمرات التي تجرسها النحل» في الصحاح «الجرس» الصوت الخفي، وجرست النحل العرفط إذا أكلته. وفيه أيضاً «العرفط» شجر من العضاء. وفيه «العضاء» كل شجر يعظم وله شوك (ع).

(٨٣٠) وعن عبد الله بن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل، (٨٣١) ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل: عليّ وقومه، وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحل: بنو هاشم، يخرج من

٨٣٠ - أخرجه البخاري (١٤٦/١٠) كتاب الطب، باب الدواء بالعسل حديث رقم (٥٦٨٤)، ومسلم (٧/٤٦٠) نووي كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل حديث رقم (٢٢١٧)، والبغوي في شرح السنة (٢٤٩/٦)، كتاب الطب والرقي باب المداواة بالعسل، والحاكم (٤٠٢/٤).

وقال الحافظ في تخریج الکشاف:

متفق عليه من حديث أبي سعيد وغفل الحاكم فاستدركه.

٨٣١ - رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٦/٦) (٣٠٠١٩ - ٣٠٠٢٠) من طريقين: الأولى: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيشمة عن الأسود قال: قال عبد الله: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل».

الثانية: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال «العسل...». قلت: وقع في المطبوع من «المصنف» عن أبي إسحاق عن أبي الأسود، وليس كذلك إنما هو أبو الأحوص؛ كما يأتي تحقيقه.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (١١٤٢/٢) - كتاب الطب (٣١) - باب العسل (٧) (٣٤٥٢)، وابن عدي في الكامل في ترجمة زيد بن الحباب (٣/١٠٦٥)، (٣/١٢٥٣)، والحاكم في المستدرک (٤/٢٠٠) - كتاب الطب.

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري (٧/١٣٣). والخطيب في تاريخ بغداد (١١/٣٨٥). كلهم من طريق زيد بن الحباب، ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين...» فذكره مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري تفرد به عنه زيد بن الحباب. وزيد بن الحباب هذا قال فيه الحافظ في التقریب (١/٢٧٣): صدوق يخطئ في حديث الثوري. قلت: وأخرجه موقوفاً أيضاً الحاكم في مستدرکه (٤/٢٠٠) من طريق وكيع عن سفيان به، والطبراني في «معجمه الكبير» (٩/٢٥٢) (٩٠٧٦) من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق به، والدارقطني في العلل (٥/٣٢٣) من طريق يحيى عن سفيان عن أبي إسحاق به.

وقال: ووقفه يحيى القطان وأبو حذيفة عن الثوري وهو الصحيح.

وقال الحافظ في تخریج الکشاف:

لم أره هكذا. وفي الكامل لابن عدي من رواية لابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رفعه: «عليكم بالشفاءين: العسل شفاء من كل داء». والقرآن شفاء لما في الصدور»، وقال: لم يرفعه عن وكيع عن الثوري إلا سفيان بن وكيع. قال: ورواه زيد بن الحباب عن الثوري أيضاً مرفوعاً اهـ. وأخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من رواية زيد بن الحباب بهذا الإسناد مرفوعاً بلفظ: «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»، وابن أبي شيبة عن وكيع مرفوعاً ولفظه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور»، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم والشعبي أيضاً. قال ابن أبي شيبة: وحدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حية عن الأسود عن عبد الله قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل». انتهى.

بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أصحابيكم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَيُنَكِّرُ مَن يَرُدُّ إِلَيْكَ أَرْذَلِ الْعُمَرِ لِيَكُنِيَ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

قَدِيرٌ ﴿٧٥﴾

﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ﴾: إلى أخسه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة عن علي - رضي الله عنه - وتسعون سنة عن قتادة؛ لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم، ﴿لِيَكُنِيَ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لثلاث يعقل من بعد عقله الأول شيئاً، وقيل: لثلاث يعلم زيادة علم على علمه.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧٦﴾

أي: جعلكم متفاوتين في الرزق، فزرقتكم أفضل مما رزق مما ليحكم وهم بشر مثلكم وإخوانكم، فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تتساواوا في الملابس والمطعم، كما يحكى عن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، فَأَكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تُطْعَمُونَ» (٨٣٢) فما روي عبده عبد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: فجعل ذلك من جملة جحود النعمة، وقيل: هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء، فقال لهم: أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم،

٨٣٢ - أخرجه البخاري في صحيحه (٨٣/١٢) - كتاب الأدب (٧٨) باب ما ينهى عن السباب واللعن

(٤٤) - حديث رقم (٦٠٥٠). ومسلم (١٤٦/٦ - نووي) كتاب الإيمان (٢٧) - باب إطعام

المملوك مما يأكل وإلباسه (١٠) حديث رقم (٣٨) (١٦٦١).

وأبو داود (٣٤٠/٤) - كتاب الأدب - باب في حق المملوك - (٥١٥٧)، والترمذي (٣٣٤/٤) -

كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم - (١٩٤٥)، وابن ماجه (١٢١٦/٢) -

كتاب الأدب (٣٣) - باب الإحسان إلى المعاليك (١٠) (٣٦٩٠)، وأحمد في المسند (١٥٨/٥) -

(١٦٦)؛

كلهم من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر وعليه صلة وعلى غلامه مثلها... الحديث.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه وأخرجه أصحاب السنن. انتهى.

وعن الزيادة المشار إليها عقب الحديث قال: لم أره.

فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء، وقيل: المعنى: أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً، فهم في رزقي سواء، فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليتكم من عندهم شيئاً من الرزق؛ فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم، وقرئ: «يجحدون»: بالثاء والياء.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم، وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم، والحفدة: جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة والخدمة، ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد؛ وقال [من الكامل]:

حَفَدَ الْوَلَاتُ يُدْبِرْنَ وَأَسْلِمَتْ بِأَكْفَفِهِنَّ أَرْمَةٌ الْأَجْمَالِ^(١)

واختلف فيهم فقيل: هم الأختان على البنات^(٢)؛ وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأول، وقيل المعنى: وجعل لكم حفدة، أي: خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم، ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم؛ كقوله: ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، كأنه قيل: وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون، أي: جامعون بين الأمرين، ﴿مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾: يريد بعضها؛ لأن كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها، ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو: ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمانة، فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن، ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز: هم كافرون بها منكرون لها، كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول، وقيل: الباطل ما يسؤل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما، ونعمة الله: ما أحل لهم.

(١) يقول: حفد من باب ضرب، أي أسرع الولائد: جمع وليد وهي البنت الصغيرة، بينهن: أي بين النساء الطاعنات. وأسلمت: مبنية للمجهول، أي تركت في أكف الظمائن والولاتد. أزمة الأجمال: جمع زمام، وذلك دليل على حفظهن وصونهن، حتى لا يتخلل ركبهن إلا الولائد.

البيت للقرزوق، ينظر زيادات الطبعة الأولى من جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، لجميل بشينة في ملحق ديوانه ص (٢٤٦)، بلا نسبة في لسان العرب (حفد)، جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، كتاب العين (٣/١٨٥).

(٢) قوله: «فقيل هم الأختان على البنات» في الصحاح: الحفدة الأعوان والخدم. وفيه أيضاً: الختن بالتحريك كل من كان من قبل المرأة كالآب والأخ، وهم الأختان، كذا عند العرب وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته اهـ فلعله أيضاً ضمن الأختان معنى الأعوان أو الخلفاء فعدها بعلی. وفي الخازن عن ابن مسعود: الحفدة أختان الرجل على بناته (ع).

﴿وَعِبَادُ اللَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا

يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الرزق يكون بمعنى: المصدر، وبمعنى: ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْئًا﴾؛ كأي: ﴿أَوْ لَطَعْتُمْ فِي بَوِّرِ ذِي مَسْمَعٍ ﴿٧١﴾﴾ [البلد: ١٤، ١٥] على: لا يملك أن يرزق شيئاً، وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه، بمعنى: قليلاً، ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك: أي لا يملك شيئاً من الملك، و﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: صل للرزق إن كان مصدراً بمعنى: لا يرزق من السموات مطراً، ولا من الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لما؛ لأنه في معنى: الآلهة، بعد ما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾: على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، يعني: ولا يستطيع هؤلاء - مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب - من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حس به؟

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؟ وهل هما إلا شيء واحد؟

قلت: ليس في (لا يستطيعون): تقدير راجع؛ وإنما المعنى: لا يملكون أن يرزقوا، منفية عنهم أصلاً؛ لأنهم موات، إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد: أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه، ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به^(١)؛ لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال، وقصة بقصة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾: كنه ما تفعلون وعظمه، / ١٩٤ ب وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم؛ لأن العقاب على مقدار الإثم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: كنهه وكنه عقابه؛ فذاك هو الذي جرّكم إليه وجرّأكم عليه، فهو تعليل للنهي عن الشرك، ويجوز أن يراد: فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون.

(١) قال محمود: «تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به... إلخ» قال أحمد: فعلى تفسيره الأول يكون حموله (لله) متعلقاً بالأمثال، كأنه قيل: فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه. وعلى الثاني يكون متعلقاً بالفعل الذي هو تضربوا، كأنه قيل: فلا تمثلوا لله الأمثال، فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم، ليبين له ما خفي عنه، والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون، فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة، والله أعلم.

﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ
بُفِيقٌ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ثم علمهم كيف تضرب فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان: مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء.

فإن قلت: لم قال: ﴿مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(١)، وكل عبد مملوك، وغير قادر على التصرف؟

قلت: أما ذكر المملوك: فليميز من الحرّ؛ لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً؛ لأنهما من عباد الله، وأما ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له؛ لأنهما يقدران على التصرف، واختلفوا في العبد، هل يصح له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصح له.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم قال مملوكاً لا يقدر على شيء... إلخ» قال أحمد: والقول بصحة ملكه هو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه. وفي هذه الآية له معتصم، لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالباً، ثم أفصح عن المعنى المقصود: وهو أن هذا المملوك ليس بمن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر، بل هو على الأصل المعهود في الممالك عاجز غير قادر، ولو لم يكن ملك العبد متصوراً ومعهوداً شرعاً وعرفاً، لكان قوله تعالى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ كالتكرار لما فهم من قوله ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ وقول القائل يقول إنه احتراز من المكاتب، بعيد من فصاحة القرآن: فإنه لو كان العبد لا يصح منه ملك الأئمة إلا في حال الكتابة، لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ، كالألغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة. ومثل هذا أنكروه الإمام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام: «أبما امرأة نكحت بغير إذن وليها» على المكتبة لبعد القصد إليها على شذوذها. وأما الاحتراز به عن المأذون له فبينني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم الممكنة من التصرف، وإن لم يكن المأذون له مالكاً عند هذا القائل. وهذا بعيد عن مطابقة قوله ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا﴾ فإنها توجب أن يكون المراد بقوله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لا يملك شيئاً من الرزق، كما تقول في الحر المفلس: فلان لا يقدر على شيء، أي لا يملك شيئاً يقدر على التصرف فيه. فتلخص من هذا البحث أن في الآية مجالاً لنصرة مذهب مالك، وإن كان لقائل أن يقول: هذه الصفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك، كأنه قيل: وإنما ضربنا المثل بالمملوك؛ لأن صفته اللازمة له وسمته المعروفة به، أنه لا يقدر على شيء. أي لا يصح منه ملك، وكثيراً ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص، ولكن إيضاح وتفسير. ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ فقول لا برهان له به. لا يقصد به تمييز له سوى (الله) من (إله) لأن كل مدعو إلهاً غير الله تعالى، لا برهان به. وإنما أريد أن عدم البرهان من لوازم دعاء إله غير الله تعالى، فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد. ولنا أن نقول في دفعه أن الأصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد. وأما الوارد من ذلك لازماً فنادر على خلاف الأصل، والله الموفق.

فإن قلت: (من) في قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ ما هي؟
 قلت: الظاهر أنها موصوفة، كأنه قيل: وحرراً رزقناه؛ ليطابق عبداً، ولا يمتنع أن
 تكون موصولة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿يَسْتَوِي﴾ على الجمع؟

قلت: معناه: هل يستوي الأحرار والعبيد؟

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
 أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

الأبكم: الذي ولد أخرس، فلا يفهم ولا يفهم، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي: ثقل
 وعيال على من يلي أمره ويعوله، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾: حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة
 أو كفاية مهم، لم ينفع ولم يأت بنجح، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ﴾: هو سليم الحواس نفاعاً
 ذو كفايات، مع رشد وديانة، فهو: ﴿يَأْتِي أَمْرًا﴾: الناس ﴿بِالْعَدْلِ﴾، والخير، ﴿وَهُوَ﴾:
 في نفسه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثان ضربه الله
 لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطفاه ونعمه الدينية والدنيوية،
 وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع، وقرئ: «أينما يوجه»: بمعنى: أينما يتوجه،
 من قولهم: أينما أوجه ألق سعداً، وقرأ ابن مسعود: «أينما يوجه»: على البناء للمفعول.

﴿وَلِلَّهِ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

﴿وَلِلَّهِ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد، وخفي
 عليهم علمه، أو أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة، على أن علمه غائب عن أهل
 السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي: هو عند
 الله وإن تراخى، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو
 أقرب، إذا بالغم في استقرايه؛ ونحوه قوله: ﴿رَسَّعِلُونَكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ
 يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٤٧]، أي: هو عنده دان وهو عندكم
 بعيد، وقيل: المعنى: أن إقامة الساعة، وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين
 والآخرين، يكون في أقرب وقت وأوحاه^(١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو يقدر على
 أن يقيم الساعة ويبعث الخلق؛ لأنه بعض المقدرات، ثم دل على قدرته بما بعده.

(١) قوله: «أوحاه» أي: وأسرع. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)

قري: ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: بضم الهمزة وكسرها، والهاء مزيدة في أمات، كما زيدت في أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة؛ قال [من الرجز]:

أُمَّهَيْي خُنْدِفٌ وَأَلْيَاسُ أَبِي^(١)

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾: في موضع الحال، ومعناه: غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون، وسواكم وصوركهم، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به، من شكر المنعم وعبادته، والقيام بحقوقه، والترقي إلى ما يسعدكم، والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة، والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها، كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير، فجرت ذلك المجرى.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩)

قري: «لم يروا»: بالياء والياء، (مسخرات): مذلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية^(٢) لذلك، والجو: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو

(١) إنني لدى الحرب رخي اللبب معتمزم الصولة عالي النسب

أمهتي خندف وإلياس أبي

لقصي بن كلاب بن مرة جد النبي ﷺ. ورخي اللبب. رحب الصدر واسع البال. واللبب في الأصل جبل في صدر المطية يمنع الرحلة من الاستخار، أطلق على ذلك للمجاورة. ومعتمزم: مصمم. والصولة: نجشم المكروه وافتحامه. وزيادة الهاء في أمهة شاذ. وخندف، بكسر الخاء والذال: امرأة إلياس بن مضر، وهذا لقبها، واسمها ليلي. والخندفة: مشية كالهرولة. وإطلاق الأم والأب على الجدة والجد: مجاز لمطلق الأصالة.

ينظر: خزانة الأدب ٣٧٩/٧، والدرر: ٨٣/١، وسمط اللآلي ص ٩٥، وشرح شواهد الشافية ص ٣٠١، ولسان العرب: (سلك)، (أمه)، والمقاصد النحوية: ٥٦٥/٤، وديوان الأدب: ١٧٥/٤، ٤١٩/٣، وتاج العروس (هول)، (أمم)، وأمالي القالي: ٣٠١/٢، وسر صناعة الإعراب: ٢/٥٦٤، وشرح التصريح: ٣٦٢/٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ٤/١٠، والمحنتب: ٢٢٤/٢، والممتع في التصريف: ٢١٧/١، وجمع الهوامع: ٢٣/١، وتهذيب اللغة: ٤٧٥/٦، ٦٣١/١٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٨٤، ١٣٠٨، والمخصص: ١٧١/١٣.

(٢) قوله: «والأسباب المواتية لذلك» في الصحاح آتية على ذلك الأمر مؤانة إذا وافقه والعامية تقول: واتيته (ع).

والسكاك^(١) أبعد منه، واللوح مثله: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾: في قبضهن وبسطهن ووقوفهن، ﴿إِلَّا بِرَبِّهِنَّ﴾: بقدرته.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها، والسكن: فعل بمعنى: مفعول، وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف، ﴿بُيُوتًا﴾: هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها^(٢)، ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها، أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً، على أن اليوم بمعنى: الوقت، ﴿وَمِئَةً﴾: وشيئاً ينتفع به، ﴿إِلَى حِينٍ﴾: إلى أن تقضوا منه أوطاركم، أو إلى أن يبلى ويفنى، أو إلى أن تموتوا، وقرئ: «يوم ظعنكم»: بالسكون.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿مِمَّا خَلَقَ﴾: من الشجرة وسائر المستظلات، ﴿أَكْنَانًا﴾: جمع كن، وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيان والكهوف، ﴿سَرَابِيلَ﴾: هي القمصان والثياب من الصوف والكتان^(٣) والقطن وغيرها، ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: لم يذكر البرد؛ لأن الوقاية من الحر أهم عندهم، وقلما يهتمهم البرد؛ لكونه يسيراً محتملاً، وقيل: ما بقي من الحر يقي من البرد^(٤)، فدل ذكر الحر على البرد، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ يريد:

(١) قوله: «والسكاك أبعد منه» في الصحاح السكاك والسكاكة الهواء الذي يلاقي أعنان السماء وفيه أيضاً أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها. والعنان بالفتح السحاب (ع).

(٢) قال محمود: «المراد يخف عليكم حملها ونقلها... إلخ» قال أحمد: والتفسير الأول أولى؛ لأن ظهور المنة في خفتها إنما يتحقق في حال السفر. وأما المستوطن فغير مثقل، وما أحسن قول الزمخشري في يوم إقامتكم: أن المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم، والله أعلم.

(٣) قال محمود: «هي القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها... إلخ» قال أحمد: يعني عند العرب وخصوصاً قطان الحجاز، وهم الأصل في هذا الخطاب.

(٤) عاد كلامه. قال: «وقيل إن ما بقي الحر يقي البرد فدل ذكره عليه» قال أحمد: والأول أظهر. ألا =

الدروع والجواشن^(١) والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره، ﴿لَمَلَكُم تَسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتتقادون له، وقرئ: «تسلمون»: من السلامة، أي: تشركون فتسلمون من العذاب، أو تسلم قلوبكم/ ١٩٥ من الشرك، وقيل: تسلمون من الجراح بلبس الدروع.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٧) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴿

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أذيت ما وجب عليك من التبليغ، فذكر سبب العذر، وهو البلاغ؛ ليدل على المسبب، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: التي عددناها؛ حيث يعترفون بها وأنها من الله، ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾: بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: هي من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا، وقيل: إنكارهم قولهم ورتناها من آبائنا. وقيل: قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله؛ وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سبباً في نيلها، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: الجاحدون غير المعترفين، وقيل: (نعمة الله): نبوة محمد عليه السلام - كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم.

فإن قلت: ما معنى: ثم؟

قلت: الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ (٨٥) ﴿

﴿شَهِيدًا﴾: نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق، والكفر والتكذيب، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في الاعتذار، والمعنى: لا حجة لهم، فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر، وكذا عن الحسن، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هم يسترضون، أي: لا يقال لهم أرضوا ربكم؛ لأن الآخرة ليست بدار عمل.

= ترى إلى تقديم المنة بالظلال التي تقي من الضحا، في قوله تعالى ﴿جَعَلْ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ فدل على أن الأهم عند المخاطبين وقاية الحر، فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعاً عندهم. وقول القائل «إن ما بقي الحريقي البرد» مشهود عليه بالعرف، فإن الذي يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها، وليس ذلك من لبوس البرد، بل لو لبس الإنسان في كل واحد من الفصلين - القبيظ والبرد - لباس الآخر، يعد من الثقلاء.

(١) قوله: «الجواشن» في الصحاح: الجوشن الصدر. والجوشن الدرع (ع).

فإن قلت: فما معنى ثم هذه؟

قلت: معناها: أنهم يمتنون^(١) بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منها، وهو أنهم يمتنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إلقاء بحجة، وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره: واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُظْرُونَ﴾؛ كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٠).

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٨٦) ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّكْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٨٧)

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم، فمعنى: ﴿شُرَكَائُنَا﴾: آلهتنا التي دعوناها شركاء، وإن أرادوا الشياطين، فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في النفي، و﴿نَدْعُوا﴾ بمعنى: نعبد.

فإن قلت: لم قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، وكانوا يعبدونهم على الصحة؟

قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ آجِينَ﴾ يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا، أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة؛ تنزيهاً لله من الشريك، وإن أريد بالشركاء: الشياطين، جاز أن يكون «كاذبين» في قولهم: (إنكم لكاذبون)، كما يقول الشيطان: إني كفرت بما أشركتموني من قبل، ﴿وَأَلْقَوْا﴾ يعني: الذين ظلموا، وإلقاء السلم: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾، وبطل عنهم: ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من أن الله شركاء، وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨)

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في أنفسهم، وحملوا غيرهم على الكفر: يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم، وقيل: في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها^(٢) أربعين خريفاً، وقيل: يخرجون من النار إلى

(١) قوله: «يمتنون» في الصحاح: منوته ومنيته إذا ابتليته (ع).

(٢) قوله: «حمتها» حمة العقرب بالتخفيف، والهاء عوض عن اللام وهي سهما. وأما حمة الحر، =

الزمهيرر فيبادرون من شدة برده إلى النار، ﴿يَمَّا كَانُوا يُفِيدُونَ﴾: بكونهم مفسدين الناس
بصدهم عن سبيل الله .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩)

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم،
﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: على أمتك، ﴿تِبْيَانًا﴾: بياناً بليغاً ونظير
«تبيان»؛ «تلقاء» في كسر أوله، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن .

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؟

قلت: المعنى: أنه بين كل شيء من أمور الدين؛ حيث كان نصاً على بعضها وإحالة
على السنة؛ حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته، وقيل: وما ينطق عن الهوى،
وحشا على الإجماع في قوله: ﴿وَتَتَّبِعَ عَذَابَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد رضي رسول الله ﷺ لأمره
اتباع أصحابه، والافتداء بأثارهم في قوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهَمُ أَفْتَدَيْتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ»
(٨٣٣)، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع
والقياس والاجتهاد، مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثم كان تبياناً لكل شيء .

٨٣٣ - أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٢٥/٢) وابن حزم في «الإحكام» (٨٢/٦) وابن حجر
في «تخریج أحاديث المختصر» (١٤٦/١) من طريق سلام بن سليمان ثنا الحارث بن غصين عن
الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به .

قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول .
وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي
وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة وهذا منها بلا شك .

وقال الحافظ: حديث غريب . . . وأخرجه ابن عبد البر من هذا الوجه وقال: هذا إسناد لا تقوم به
حجة والحارث مجهول قلت - أي الحافظ - الآفة فيه من الراوي عنه وإلا فالحارث ذكره ابن
حبان في الثقات وقال: روى عنه حسين الجعفي اهـ وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من
المسند» (ص ٢٥٠، ٢٥١) رقم (٧٨٣) وابن عدي في «الكامل» (٧٨٥/٢ - ٧٨٦) كلاهما من
طريق أبي شهاب عن حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أصحابي
مثل النجوم يهتدى به فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم» .

وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٢٤/٢) معلقاً عن أبي شهاب به وقال: وهذا إسناد لا
يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به .

وقال ابن حزم في «الإحكام» (٨٣/٦): فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بل لا شك أنها

= فبالتشديد، وهي معظمة، أفاده الصحاح (ع).

❖ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

= مكذوبة لأن الله تعالى يقول في صفة نبيه ﷺ: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) [النجم ٣، ٤]... أهـ.

ومن طريق عبد بن حميد أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١٤٥/١) وقال: هذا حديث غريب وذكره ابن عبد البر في كتاب بيان العلم عن أبي شهاب بسنده وقال: هذا إسناد ضعيف الراوي له عن نافع لا يحتج به قلت: هو متفق على تركه بل قال ابن عدي: إنه يضع. أهـ. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٠٥٧/٣) والبيهقي في «المدخل» (١٥١) وابن عساكر (٥/٦ - تهذيب) من طريق نعيم بن حماد ثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد ابن المسيب عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عما يختلف فيه أصحابي من بعدتي فقال: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما اختلفوا فيه فهو عندي على هذا».

قال الحافظ في «تخريج أحاديث المختصر» (١٤٧/١): هذا حديث غريب... وزيد العمي بفتح المهملة وتشديد الميم وابنه أضعف منه، وقد سُئل البزار عن هذا الحديث فقال: لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ وقد رواه عبد الرحيم مرة أخرى فقال عن أبيه عن ابن عمر... أهـ وأخرجه البيهقي في «المدخل» (١٥٢) والخطيب في «الكفاية» (ص - ٤٨) من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأبها أخذتم به اهتديتم» قال الحافظ في «تخريج المختصر» (١٤٦/١): وجوير ضعيف جدا والضحاك لم يلق ابن عباس.

وأخرجه البيهقي في «المدخل» أيضاً (١٥٣) من طريق جوير عن جواب بن عبد الله عن النبي ﷺ.

وهو مرسل أو معضل كما قال الحافظ.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٦) من طريق جعفر بن عبد الواحد قال: قال لنا وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى». وجعفر بن عبد الواحد كذاب كذبه غير واحد. فذكره برهان الدين الحلبي في «كتابه الكشف الحثيث عن رمى بوضع الحديث» (ص ١٢٧) رقم: (١٩٧) وقال: قال الدارقطني: يضع الحديث، وساق له ابن عدي أحاديث وقال: كلها بواطيل وبعضها سرقة من قوم انتهى ونقل ابن الجوزي عن ابن عدي أنه متهم بوضع الحديث ذكر ذلك في غير مكان من الموضوعات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الدارقطني في المؤلف من رواية سلام بن سليم عن الحرث بن غصن عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً. وسلام ضعيف. وأخرجه في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر في أثناء حديث: وفيه: «فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم، إنما مثل أصحابي مثل النجم من أخذ بنجم منها اهتدى»، وقال: لا يثبت عن مالك. ورواه دون مالك مجهولون. ورواه عبد بن حميد، والدارقطني في الفضائل من حديث حمزة الحريري عن نافع عن ابن عمر. وحمزة اهتموه بالوضع. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة، وفيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي وقد كذبوه. ورواه ابن طاهر من رواية بشر ابن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس. وبشر كان متهماً أيضاً. وأخرجه البيهقي في المدخل من =

وَالْبَغْيُ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾

العدل هو الواجب^(١)؛ لأن الله - تعالى - عدل فيه على عباده^(٢)، فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم، ﴿وَالْإِحْسَانُ﴾: الندب؛ وإنما علق أمره بهما جميعاً؛ لأن الفرض لا بدّ من أن يقع فيه تفريط^(٣) فيجبره الندب؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لمن علمه الفرائض فقال: والله لا زدت فيها ولا نقصت -: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» (٨٣٤)، فعقد الفلاح

= رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وجويبر متروك. ومن رواية جويبر أيضاً عن حوابة بن عبد الله مرفوعاً وهو مرسل، قال البيهقي: هذا المتن مشهور وأسانيده كلها ضعيفة. وروى في المدخل أيضاً عن عمر ورفعه: «سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدني. فأوحى إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هو عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى»، وفي إسناده عبد الرحيم بن زيد السهمي، وهو متروك. انتهى.

٨٣٤ - أخرجه مالك في الموطأ (١/١٧٥/٩٤) - كتاب قصر الصلاة في السفر (٩) - باب جامع الترغيب في الصلاة، والبخاري في صحيحه (١/١٤٦) - كتاب الإيمان (١) - باب الزكاة من الإسلام (٣٤) - (٤٦)، ومسلم (١/١٩٨ - نووي) - كتاب الإيمان (١) - باب بيان الصلوات (٢) - (١١/٨)، وأبو داود (١/١٠٦) - كتاب الصلاة - حديث رقم (٣٩١)، والنسائي (١/٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨) - كتاب الصلاة - باب لم رضت في اليوم واللييلة - (٤٥٨)، والدارمي (١/٣٧٠) - كتاب الصلاة - باب «في الوتر»، وابن خزيمة (٢/١٥٨) حديث رقم (٣٠٦)، وأحمد (١/١٦٢)، والبيهقي في =

- (١) قال محمود: «العدل: الواجب. والإحسان: الندب» قال أحمد: وفي جمعهما تحت الأمر ما يدل لمن قال إن صيغة الأمر - أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة أفعال - تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم.
- (٢) عاد كلامه. قال: «وإنما كان الواجب عدلاً لأن الله تعالى عدل فيه على عباده... إلخ» قال أحمد: وهذه وليجة من الاعتزال. ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة، على مقتضى توحيد أهل السنة، المعتقدين أن كل موجود بقدرته الله تعالى حدث ووجد، لا شريك له في ملكه، وكيف يكون شريكه عبداً مسخراً في قبضة ملكه، هذا هو التوحيد المحض. وإذا كان العبد مكلفاً بما هو من فعل الله، فهذا عين التكليف بما لا يطاق، ولكن ذلك عدل من الله تعالى، وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من الثأني والتيسر في الأفعال الاختيارية التي هي محال التكاليف.
- (٣) عاد كلامه. قال: «وإنما قرنهما في الأمر، لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب... إلخ» قال أحمد: وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل: لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن، فيقال: المحكوم بفلاحه لأجله إنما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل التقص والزيادة، والله أعلم.

بشرط الصدق والسلامة من التفريط، وقال عليه السلام: «أَسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» (٨٣٥). فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل، والفواحش: ما جاوز حدود الله،

= الكبرى (٤٦٦/٢)، من طرق عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول . . .

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من رواية طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم.

٨٣٥ - ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم:

ثوبان، جابر، عبد الله بن عمرو بن العاص، سلمة بن الأكوع، أبو أمامة.

- أما حديث ثوبان:

فأخرجه أحمد (٢٨٦/٥ - ٢٧٧)، وابن ماجه (١٠١/١) كتاب الطهارة وسننها - باب المحافظة على الوضوء (٢٧٧)، والحاكم في مستدرکه (١٣٠/١)، والبيهقي في الكبرى (٨٢/١ - ٤٥٧)، والطبراني في «الصغير» (٨٨/٢)، والدارمي في سننه (١٦٨/١)، والخطيب في تاريخه (٢٩٣/١)، والطيالسي في مسنده (٢٩/١ - منحة) (٤٦)، من طرق عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعاً: «استقيموا ولن تحصوا...» وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولست أعرف له علة يعلل بمثلها ووافقه الذهبي.

قلت: وفي ذلك نظر، فإن سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان كما قرر ذلك عدد من أهل العلم فعند الترمذي في جامعه (٢٧٨/٥) (٣٠٩٤) قال: سألت محمد بن إسماعيل فقلت له: سالم ابن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا... وقال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر أحاديث سالم بن أبي الجعد عن ثوبان، فقال: لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه، وبينهما معدان بن أبي طلحة، وليست هذه الأحاديث بصحاح. تهذيب الكمال (١٣٢/١٠) ترجمة (٢١٤٢). وقد صرح بذلك البوصيري في «الزوائد» (١٢٢/١).

قلت: وللحديث طريق آخر عن ثوبان:

أخرجه أحمد (٢٨٢/٥)، والدارمي (١٦٨/١) كتاب الوضوء: باب ما جاء في الطهور، وابن جبان (١٦٤ - موارد)، والطبراني في «الكبير» (١٠١/٢) رقم (١٤٤٤)، والبيهقي (٤٥٧/١) كتاب الطهارة: باب خير أعمالكم الصلاة، من طريق الوليد بن مسلم ثنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن ثوبان به. وقع عند الطبراني «أبو كبشة السولي» وهو تصحيف واسمه «أبو كبشة السلولي» انظر تهذيب الكمال (٢١٥/٣٤) ترجمة (٧٥٨٣) والوليد بن مسلم مدلس، وقد عنعن - ووجدت تصريحه بالتحديث عند ابن جبان في صحيحه (٣١١/٣) (١٠٣٧) بلفظ «سدوا وقاربوا...» وابن ثوبان اسمه عبد الرحمن وهو حسن الحديث، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (٣٤/١) - كتاب الطهارة - باب جامع الوضوء - بلاغاً وقال ابن عبد البر في النقصي: هذا يستند ويتصل من حديث ثوبان عن النبي عليه السلام من طرق صحاح.

- وأما حديث جابر فأخرجه الحاكم في مستدرکه (١٣٠/١) من طريق محمد بن خازم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً . . .

- وأما حديث عبد الله بن عمرو:

فأخرجه ابن ماجه (١٠٢/١) - كتاب الطهارة - باب المحافظة على الوضوء - (٢٧٨)، والبيهقي في الشعب (٥٠٤/٣) (٢٧١٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/١) (٣٦) مختصراً، كلهم من طريق =

﴿وَالنُّكْرُ﴾: ما تنكره العقول^(١)، ﴿وَالْبَغْيُ﴾: طلب التطاول بالظلم^(٢)، وحين أسقطت

من الخطب^(٣) لعنة الملاعين على أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - أقيمت هذه الآية

== ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، علته
ليث بن أبي سليم.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٣٣/٢) (٦٨٠) لإسحاق بن راهويه والبخاري والطبراني في
معجمه - ونقل عن البزار قوله: لا نعلمه يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص إلا من هذا الوجه
بهذا الإسناد.

- وحديث سلمة بن الأكوع:

أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨/٧) (٦٢٧٠)، والعقيلي في الضعفاء (١٦٨/٤) كلاهما من طريق
محمد بن عمر الوادي عن موسى بن محمد بن إبراهيم أنه سمع إياس بن سلمة بن الأكوع يحدث
عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ . . . فذكره.

ومحمد بن عمر الواقدي متروك مع سعة علمه، وموسى بن محمد لا يتابع؛ لما قال العقيلي، وقال
الهيثمي في المجمع (٢٥٣/٢): رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن عبادة عن أبيه، ولم أجد
من ترجمه. أه.

قلت: وليس في إسناده عند الطبراني محمد بن عبادة هذا.

- وحديث أبي أمامة: أخرجه ابن ماجه (١٠٢/١) - كتاب الطهارة وسننها - باب المحافظة على
الوضوء - (٢٧٩) حدثنا محمد بن يحيى. ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب حدثني إسحاق بن
أسيد عن أبي حفص الدمشقي عن أبي أمامة يرفع الحديث . . .

وقال البوصيري في الزوائد (١٢٣/٢) هذا إسناد ضعيف لضعف تابعيه، وقال البيهقي: أبو حفص
هذا مجهول، تهذيب الكمال (٢٥٣/٣٣) (٧٣٢١)، وقال الذهبي في الميزان (٤/الترجمة
١٠١١٠): لا يعرف أبداً. وقال الحافظ ابن حجر (٤١٣/٢) (٦٠): مجهول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، وأبو يعلى من رواية سالم بن أبي
الجعد عن ثوبان. وهو منقطع. ورواه ابن جبان، والطبراني من وجه آخر عن ثوبان، ورواه الحاكم
من رواية الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، ورواه الطبراني. والعقيلي من حديث سلمة بن الأكوع
وفيه الواقدي، وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والبزار والطبراني عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد
عن عبد الله بن عمرو. وليث ضعيف وأشار البزار إلى أنه تفرد به. انتهى.

(١) عاد كلامه. قال: «والفواحش ما جاوز حدود الله، والمنكر ما تنكره العقول» قال أحمد: وهذه أيضاً
لفتة إلى الاعتزال، ولو قال: والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق. ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في
التحسين والتقيح بالعقل، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «والبغي طلب التطاول بالظلم» قال أحمد: وأصل موضوعه الطلب، ومن ابتغاء
وجه الله، ابتغاء مرضاة الله، ولكن صار مطلقاً خاصة بطلب الظلم عرفاً.

(٣) عاد كلامه. قال: «وحيث أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه . . . إلخ» قال أحمد: ولعل المعروض بهذه الآية عن تلك الهنأة، لاحظ التطبيق بين
ذكر النهي عن البغي فيها، وبين الحديث الوارد: في أن المناصب لعلي باغ، حيث يقول عليه =

مقامها، ولعمري، إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً، ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالاً وخزياً، إجابة لدعوة نبيه: «وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ» (٨٣٦)، وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

٨٣٦ - قلت هذا حديث صحيح متواتر، وقد رواه جمع كبير من الصحابة هم:

(١) زيد بن أرقم أخرجه الثَّسَانِي فِي الْكَبِيرِ (١٣٠/٥ - ١٣١) - كِتَابُ الْخَصَائِصِ - حَدِيثُ رَقْمِ (٨٤٦٤، ٨٤٦٨)، وَأَحْمَدُ (١١٨/١)، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (١٠٩/٣)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (ص ٦٠٦ / ١٣٦٥)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٦٦/٥) (٤٩٦٩)؛ كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ...

وَقَالَ الْحَاكِمُ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ» وَأَقْرَبُهُ الذَّهَبِيُّ. قُلْتُ: وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ وَهُوَ أَبُو يَحْيَى الْكُوفِيُّ ثِقَةٌ فِقْهِي جَلِيلٌ، وَلَكِنَّهُ كَثِيرُ الْإِرْسَالِ وَالتَّدْلِيلِ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ (١/١٤٨) وَقَدْ عَنَّنَا هُنَا وَتَابِعَ حَبِيبٌ... فَطَرِيقُ خَلِيفَةَ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ قَالَ...

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٧٠/٤)، وَابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ (٣٧٥/١٥ - ٣٧٦) (٦٩٣١)، وَفِي الْمَوَارِدِ أَيْضاً (١٣٨/٧ - ١٣٩) (٢٢٠٥)، وَالبِزَارُ (١٩١/٣ - ١٩٢) (٢٥٤٤)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (ص ٦٠٦ / ١٣٦٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٦٥/٥ - ١٦٦) (٤٩٦٨)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (١٠٧/٩): «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ فَطَرِيقُ خَلِيفَةَ وَهُوَ ثِقَةٌ»، وَأَخْرَجَهُ الثَّرْمُذِيُّ (٦٣٣/٥) - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ (٥٠) - بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ - (٣٧١٣) مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطَّفِيلِ يَحْدُثُ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ أَوْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ شَكَ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ...».

وَقَالَ: حَدِيثُ حَمْسَانَ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٦٨/٤ - ٣٧٢) (٣٧٠/٥)، وَالطَّبْرَانِيُّ (٤٩٨٣)، ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، ٥٠٥٨، ٥٠٥٩، ٥٠٩٢ مِنْ طَرِيقِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ بِهِ.

(٢) البراء بن عازب:

أَخْرَجَهُ الثَّسَانِيُّ (١٣٢/٥) - كِتَابُ الْخَصَائِصِ - حَدِيثُ رَقْمِ (٨٤٧٣) مِنْ طَرِيقِ عِمْرَانَ بْنِ أَبَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ: فَقُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاقَ: هَلْ سَمِعْتَ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ... قُلْتُ: وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي كَثِيرُ الْخَطَأِ، وَعِمْرَانُ بْنُ أَبَانَ هُوَ أَبُو مُوسَى الطَّحَّانُ الْوَأَسْطِيُّ: ضَعِيفُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي التَّقْرِيبِ (٨٢/٢)، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٨١/٤)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَتِهِ (٤٣/١) - الْمَقْدَمَةُ - فَضَّلَ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ (١١٦) كِلَاهِمَا مِنْ طَرِيقِ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ أُنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ...» وَقَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي الزَّوَائِدِ (٦٩/١) هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ.

(٣) سعد بن أبي وقاص: أَخْرَجَهُ الثَّسَانِيُّ (١٣١/٥) - كِتَابُ الْخَصَائِصِ - (٨٤٦٨) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» وَابْنُ مَاجَةَ (٤٥/١) الْمَقْدَمَةُ (١٢١) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ عَنْ سَعْدٍ... وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (١١٦/٣) مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمِ الْمَلَانِيِّ عَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ

= الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي: تقتلك الفئة الباغية، والله أعلم، فقتل مع علي يوم صفين.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

مالك... وقال الذهبي: سكت الحاكم عن تصحيحه، ومسلم متروك.

قلت: وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٣٥): - رواه النسائي - من طرق ثلاثة دائرة على المهاجر بن مسمار، عن عائشة بنت سعد عن سعد... ولم أجده في النسائي من هذا الطريق، وإنما وجدته فقط من الطريق الذي ذكرناه آنفاً والله أعلم.

٤) حديث بريدة:

أخرجه النسائي (١٣٠/٥) - كتاب الخصائص (٨٤٦٥، ٨٤٦٦ و ٤٨٦٧)، وأحمد (٣٥٠/٥) من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «من كنت مولاه...»، والبخاري (١٨٨/٣) (٢٥٣٥) من طريق محمد بن المثنى حدثنا أبو معاوية به، وأحمد (٣٥٨/٥)، (٣٦١) من طريق وكيع عن الأعمش به، وأخرجه أحمد (٣٤٧/٥) والحاكم (١١٠/٣) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، وأخرجه عبد الرزاق (٢٢٥١١) برقم (٢٠٣٨٨) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: لما بعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن، خرج بريدة الأسلمي معه... ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبراني في الأوسط (١/٢٢٩) (٣٤٨)، وأخرجه أيضاً في «الصغير» (٧١/١) من طريق... عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ...

وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٣) من طريق سفيان بن عيينة به وقال «غريب من حديث طاووس لم نكتبه إلا من هذا الوجه».

٥) حديث أبي هريرة:

أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/٣٠٧) (٦٤٢٣)، والطبراني في الأوسط (٢/٦٨ - ٦٧) (١١١٥)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن إدريس إلا عكرمة، وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٠٩): رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه والطبراني في الأوسط وفي أحد إسنادي البخاري رجل غير مسمى، وبقيته رجاله ثقات في الآخر، وفي إسناد أبي يعلى داود بن يزيد وهو ضعيف» أ.هـ.

٦) حديث أبي أيوب:

أخرجه أحمد (٥/٤١٩) والطبراني في الكبير (٤/١٧٣) (٤٠٥٢، ٤٠٥٣، ٤٠٥٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠٧١٩). ورجال أحمد ثقات.

٧) جرير بن عبد الله أخرجه الطبري في «الكبير» (٢/٣٥٧) (٢٥٠٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/١٠٩): وفيه بشر بن حرب وهو لين ومن لم أعرفه أيضاً، وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة منها الهيثمي في المجمع (٩/١٠٦ - ١١٢)، والحديث ذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة عن ثمانية عشر نفساً، وأورده الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب، والزيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة (ص ٢٠٥) وقال: رواه من الصحابة واحد وعشرون نفساً وذكرهم، وقال الحافظ في الفتح (٧/٤٣٨) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي - وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدنا صحاح وحسان أ.هـ.

وانظر الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٣٤ و ٢٤٤) فقد استوعب كثيراً من طرقه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

هذا طرف من حديث غدير خم الوارد في فضل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد أخرجه =

عَلَيْكُمْ كَيْلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾

عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ﴿إِنَّ الَّذِي يَبَايَعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُكَ اللَّهُ﴾ / ١٩٥ب [الفتح: ١٠]، ﴿وَلَا تَقْضُوا﴾: أيمان البيعة، ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها باسم الله، وأكد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل: الواو، والهمزة: بدل، ﴿كَيْلًا﴾: شاهداً ورتيباً؛ لأن الكفيل مراد لحال المكفول به مهيمن عليه، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته، ﴿أَنْكَا﴾: جمع نكث، وهو ما ينكث فتله، قيل: هي ربطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء، اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حال

النسائي، وابن جبان، والحاكم من رواية الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن الطفيل عن زيد بن أرقم، وفيه هذا اللفظ، ورواه النسائي أيضاً من رواية شريك: قلت لأبي إسحاق: أسمعت البراء يحدث عن رسول الله ﷺ؟ قال يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: نعم. وأخرجه ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار من وجه آخر، عن شريك، عن إدريس بن يزيد الأشددي، عن أبيه، عن أبي هريرة، وتابعه عكرمة بن إبراهيم عن إدريس عند الطبراني، ورواه الطبري أيضاً من طريق سليمان بن قرم عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة. وأخرجه النسائي أيضاً من طريق مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن أبيها أن النبي ﷺ: «أخذ بيد علي يوم غدیر خم فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأخرجه الحاكم من رواية مسلم الملائي عن خثمة بن عبد الرحمن عن سعد بن مالك نحوه. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني من طريق عطية عنه، والبزار من طريق جميل بن عمار، عن سالم عن أبيه، وعن أنس وغيره أخرجه الطبراني في الصغير من رواية طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت علياً على المنبر ناشد الصحابة: من سمعه يقول يوم غدیر خم ما قال؟ فقام اثنا عشرة، منهم أبو هريرة، وأبو سعيد، وأنس، وعن جرير أخرجه الطبراني مطولاً: وعن طلحة أخرجه الحاكم من رواية رفاعة بن إياس العمي عن أبيه عن جده قال: «كنا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة فقال له: أنشدنك الله، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول - فذكره. فقال: نعم. قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكره وانصرف طلحة» وعن جابر أخرجه أبو يعلى، والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة عن جابر، وعن حذيفة بن أسيد أخرجه الطبراني وجمع ابن عقدة طرف حديث غدیر خم، فأخرجه من رواية جماعة آخرين من الصحابة مع هؤلاء: منهم عمار بن ياسر، والعباس وابنه، والحسن بن علي والحسين بن علي، وعبد الله بن جعفر، وسلمان الفارسي، وسمره بن جندب، وسلمة بن الأكوع، وزيد بن حارثة، وأبو رافع، وزيد بن ثابت الأنصاري، ويعلى بن مرة وآخرون. انتهى.

و﴿دَعَلًا﴾: أحد مفعولي اتخذ، يعني: ولا تنقضوا أيمانكم متخذوها دخلاً ﴿يَنكُم﴾ أي: مفسدة ودغلاً^(١)، ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش، ﴿وَمِنْ أَرْبٍ مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي: أزيد عدداً وأوفر مالاً، من أمة من جماعة المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ يُلُوكُمْ﴾: الضمير لقوله: أن تكون أمة؛ لأنه في معنى: المصدر، أي: إنما يختبركم بكونهم أربى؛ لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم، وقلة المؤمنين وفقيرهم وضعفهم؟ ﴿وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾: إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٣)

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار^(٢)، وهو قادر على ذلك، ﴿وَلَكِنْ﴾: الحكمة اقتضت أن يضل، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: وهو أن يخذل من علم أنه يختار^(٣) الكفر ويصمم عليه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: وهو أن يلفظ بمن علم أنه يختار الإيمان، يعني: أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان، والثواب والعقاب، ولم يبينه على الإيجاب الذي لا يستحق به شيء من ذلك؛ وحقيقه بقوله: ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ولو كان هو المضطر إلى الضلال^(٤) والاهتداء، لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه^(٥).

- (١) قوله: «ودغلاً» في الصحاح «الدغل» بالتحريك: الفساد، مثل الدخل (ع).
- (٢) قال محمود: «معناه على طريقة الإلجاء والقسر» قال أحمد: وهذا تفسير اعترالي قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية، وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو، الدالة على أن مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق كلهم ما وقعت، وأنه إنما شاء منهم الاقتراق والاختلاف، فإيمان وكفر، وتصديق وتكذيب كما وقع منهم، ولو شاء شمولهم بالإيمان لوقع، فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول: قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة، ولكن لم يقع مراده. فإذا قيل له: فعلام تحمل المشيئة في الآية؟ قال: على مشيئة إيمانهم قسراً لا اختياراً، وهذه المشيئة لم تقع اتفاقاً.
- (٣) قوله: «وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فالإضلال: خلق الضلال في القلب؛ لأنه يجوز على الله خلق الشر عندهم دون المعتزلة، كما بين في محله (ع).
- (٤) قوله: «ولو كان هو المضطر إلى الضلال» على معنى اسم الفاعل، أي الذي يضطر العباد وبلجنهم. وقوله: «لما أثبت... إلخ» مسلم، ولكنه لم يضطرهم ولم بلجنهم ولو كان هو الخالق لأعمالهم في الحقيقة، لما لهم فيها من الكسب كما قرره أهل السنة في علم التوحيد، فلينظر (ع).
- (٥) عاد كلامه. قال محمود: «ومما يدل على أن الله لم يبين الأمر على الإيجاب وإنما بناء على الاختيار قوله تعالى ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما =

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم؛ تأكيداً عليهم، وإظهاراً لعظم ما يركب منه، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها، ﴿وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ﴾: في الدنيا بصدودكم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وخروجكم من الدين، أو بصدكم غيركم؛ لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا، لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها، ﴿وَلَكُرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

كان قوماً ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان - لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين، وإيدانهم لهم، ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد - أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فشتبهم الله، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: ولا تستبدلوا، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا، ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من إظهاركم وتغنيمكم، ومن ثواب الآخرة: ﴿خَيْرٌ لِّكُمْ﴾.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من خزائن رحمته، ﴿بَاقٍ﴾: لا ينفد، وقرئ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ﴾: بالنون والياء، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على أذى المشركين ومشاق الإسلام.

فإن قلت: لم وحدت القدم ونكرت^(١)؟

= يسألون عنه قال أحمد: أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الإيجاب بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب، تمييزاً بين الاختياري والقسري وتقوم بها حجة الله على عبده، والله الموفق.

(١) قال محمود: «إن قلت لم وحدت القدم ونكرت... إلخ» قال أحمد: ومن جنس إفادة التثنية هنا للتقليل: إفادته له في قوله تعالى ﴿وَقِيَّهَا أَذُنٌ وَعِيَّةٌ﴾ وفي قوله عز وجل ﴿انفوا الله وتنتظروا نفساً ما قدت لئلا﴾ فنكر الأذن والنفس قليلاً للوعي من الناس لما يقضي بسداده، وللناظر من الخلق في أمر معاده، والله الموفق.

قلت: لاستعظام أن تنزل واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

فإن قلت: ﴿مَنْ﴾ متناول في نفسه للذكر والأنثى، فما معنى تبيينه بهما؟

قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين، إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للمذكور، فقول: ﴿مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾: على التبيين؛ ليعم الموعد النوعين جميعاً، ﴿حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا وهو الظاهر؛ لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: وعده الله ثواب الدنيا والآخرة؛ كقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأما الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: الحياة الطيبة: الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني: في الجنة، وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

لما ذكر العمل الصالح ووعده عليه، وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب، والمعنى: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعد؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهُكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكقولك: إذا أكلت فسم الله.

فإن قلت: لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؟

قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه، فكان منه بسبب قوِي وملايسة ظاهرة، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعود بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: «يَا أَبْنَىٰ أُمَّ عَبْدِ، قُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ، هَكَذَا أَقْرَأْتَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنِ الْقَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ

المَحْفُوظِ» (٨٣٧)، ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ أي: تسلط وولاية على أولياء الله، يعني: انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه/ ١٩٦ فيما يريد منهم من اتباع خطواته، ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُكَ﴾: على من يتولاه ويطيعه، ﴿بِيَدِهِ مُشْرِكُونَ﴾: الضمير يرجع إلى ربهم، ويجوز أن يرجع إلى الشيطان، على معنى: بسببه وغروره ووسوسته.

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾﴾

تبديل الآية مكان الآية: هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع؛ لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم، وخلافه مصلحة، والله - تعالى - عالم بالمصالح والمفاسد، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته، وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، وجدوا مدخلاً للطعن فطعنوا؛ وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وكانوا يقولون: إن محمداً يسخر من أصحابه: يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً، فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون، والأهون بالأشق، والأهون بالأهون، والأشق بالأشق؛ لأن الغرض المصلحة، لا الهوان والمشقة.

فإن قلت: هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله، ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس؟

قلت: فيه أن قرأنا ينسخ بمثله، وليس فيه نفي نسخه بغيره، على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم، فنسخه بها كنسخه بمثله، وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها، فلا يصح نسخ القرآن بها.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

في (ينزل) و﴿نَزَّلَهُ﴾: وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح: إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل، وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله

٨٣٧ - أخرجه الواحدي في تفسير الوسيط (٨٤١٣) من طريق الثعلبي مسلسلاً، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٠٩/١) (٨٥) وعزاه لابن التجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: رواه الثعلبي مسلسلاً عن شيخة أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي إلى ابن مسعود، ورواه الواحدي من الوسيط عن الثعلبي... انتهى.

دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة، و﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل - عليه السلام - أضيف إلى القدس وهو الطهر، كما يقال: حاتم الجود وزيد الخير، والمراد: الروح المقدس، وحاتم الجواد، وزيد الخير، والمقدس: المطهر من المآثم، وقرئ: بضم الدال وسكونها، ﴿بِالْحَقِّ﴾: في موضع الحال، أي: نزله ملتبساً بالحكمة، يعني: أن النسخ من جملة الحق، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا والحكمة، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب، على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، ﴿وَهُدًى وَيُشْرِكُونَ﴾: مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت، والتقدير: تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة، وفيه تعريض بحصول أصداد هذه الخصال لغيرهم، وقرئ: «ليثبت»: بالتخفيف.

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي ۗ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مِّثْلُ ۝﴾

أرادوا بالبشر: غلاماً كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه: عائش أو يعيش، وكان صاحب كتب، وقيل: هو جبر: غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي، وقيل: عبدان: جبر ويسار، كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن، فقالوا: يعلمانه فقيل لأحدهما، فقال: بل هو يعلمني، وقيل: هو سلمان الفارسي، واللسان: اللغة، يقال: ألحد القبر ولحده، وهو ملحد وملحد، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شئ منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين، والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان، ﴿أَعْجَبِي ۗ﴾: غير بين، ﴿وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مِّثْلُ ۝﴾: ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالاً لظنهم، وقرئ: (يلحدون): بفتح الياء والحاء، وفي قراءة الحسن: اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان.

فإن قلت: الجملة التي هي قوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي ۗ﴾ ما محلها؟

قلت: لا محل لها؛ لأنها مستأنفة جواب لقولهم؛ ومثله قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي

الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١١٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون، ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ لا يल्पف بهم؛ لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا من أهل اللطف والثواب، ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ﴾: رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، يعني: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يترقب عقاباً عليه، ﴿وَأُولَئِكَ﴾: إشارة إلى قريش، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون، أو إلى الذين لا يؤمنون، أي: أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبألون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين، أو أولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٧﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿مَنْ كَفَرَ﴾: بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله، على أن يجعل: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: اعتراضاً بين البديل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي: طاب به نفساً واعتقده، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾: ويجوز أن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو: (أولئك) على: ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخير الذي هو الكاذبون، على: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه، ويجوز أن ينتصب على الذم، وقد جوزوا أن يكون: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾: شرطاً مبتدأ، ويحذف جوابه؛ لأن جواب: (من شرح) دال عليه، كأنه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب، إلا من أكره، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب، روي أن ناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه / ١٩٦ ب، وكان فيهم من أكره، فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار، وأبواه - ياسر وسمية - وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم: عذبوا، فأما سمية: فقد ربطت بين بعيرين ووجيء في قبلها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار: فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله،

إن عماراً كفر، فقال: «كلاً، إنَّ عَمَّاراً مُلِيََ إِيمَاناً مِنْ قَرْبِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَأَخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» ح فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه، وقال: «مَالِكَ! إِنَّ عَادُوا لَكَ فَعُدَّ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»، ومنهم جبر مولى الحضرمي، أكرهه سيده، فكفر، ثم أسلم مولاه وأسلم، وحسن إسلامهما، وهاجرا (٨٣٨).

فإن قلت: أي الأمرين أفضل، أفعَل عمار أم فعل أبويه؟

قلت: بل فعل أبويه؛ لأنَّ في ترك التقيَّة والصبر على القتل إعزازاً للإسلام وقد روي أنَّ مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول في؟ قال: أنت - أيضاً - فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول في؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَمَّا الْأَوَّلُ: فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ فَهَيِّنَا لَهُ» (٨٣٩). ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الوعيد، وأنَّ الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب

٨٣٨ - ذكره البغوي في تفسيره (٨٦/٣) من حديث ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٤٦) للواحدي في أسباب النزول والشعبي في تفسيره، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٧/٢) - كتاب التفسير - سورة النحل، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن (٢٠٨/٨ - ٢٠٩) - كتاب المرتد - باب المكروه على الردة، وأخرجه في «الدلائل» أيضاً (٤/٣٠١ - ٤٠٤)؛ وابن سعد في الطبقات (١٧٨/١/٣)، وقوله ﷺ: «إنَّ عَمَّاراً» إلى قوله «قدمة» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٣٩/١) في ترجمة «عمار بن ياسر».

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

هكذا أورده الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وروى الحاكم من حديث زر عن ابن مسعود قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: فذكرهم إلى أن قال: فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد - الحديث» ورواه ابن سعد من طريق منصور عن مجاهد قال: «أول من أظهر فذكر مثله - وزاد فجاء أبو جهل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها. فهي أول شهيد في الإسلام. قلت: قوله ﷺ: «إنَّ عَمَّاراً مليء إيماناً» رواه... وقوله «اختلط الإيمان بلحمه ودمه» رواه... وقوله «إنَّ عَادُوا لَكَ فَعُدَّ لَهُمْ» رواه... انتهى.

٨٣٩ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٧٣/٦) (٣٣٠٣٧) حدثنا ابن عليه عن يونس عن الحسن أن عيوناً لمسلمة أخذوا رجلين... وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٦٢) عن معمر قال: سمعت أن لمسلمة... فذكره قلت: وهذا إسناد معضل.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل بن عليه، عن يونس، عن الحسن «أن عيوناً لمسلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ فأهوى إلى أذنيه وقال: إني أصم، فأعاد عليه، فقال مثله، فأمر بقتله. وقال للآخر: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فأرسله. فأتى النبي ﷺ فقال: هلكت. فقال: وما شأنك؟ فأخبره بقصته وقصة صاحبه فقال: أما صاحبك فمضى على إيمانه. وأما أنت فأخذت بالرخصة. وأخرجه عبد الرزاق في التفسير عن =

استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ :
الكاملون في الغفلة، الذين لا أحد أغفل منهم؛ لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية
الغفلة ومتهاها.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَدَّوْا وَصَبَرُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٢﴾﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيدٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى
كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ : دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمار
وأصحابه، ومعنى : إن ربك لهم، أنه لهم لا عليهم، بمعنى : أنه وليهم وناصرهم لا
عدوهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه، فيكون محميًا منفعاً غير مضرور،
﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ : بالعذاب والإكراه على الكفر، وقرئ : (فتنوا) : على البناء للفاعل،
أي : بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه، ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ : من بعد هذه الأفعال
وهي الهجرة والجهاد والصبر، ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ : منصوب برحيم . أو بإضمار اذكر .

فإن قلت : ما معنى النفس المضافة إلى النفس؟

قلت : يقال لعين الشيء وذاته نفسه، وفي نقيضه غيره، والنفس الجملة كما هي،
فالنفس الأولى : هي الجملة، والثانية : عينها وذاتها، فكانها قيل : يوم يأتي كل إنسان
بجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول : نفسي نفسي، ومعنى المجادلة عنها :
الاعتداء عنها؛ كقوله : ﴿هَؤُلَاءِ أَسْأَلُونَكَ﴾ [الأعراف : ٣٨] ، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] .
ونحو ذلك .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم
فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا؛ فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مقدره على

= معمر قال : سمعت أن مسيلمة أخذ رجلين فذكره بنحوه . وذكر الواحدي في المغازي أن اسم
المقتول : حبيب بن زيد عم عباد بن تميم، واسم الآخر : عبد الله بن وهب الأسلمي . قال : وكان
في الساقة . وذكروا أنه قطعه عضواً عضواً وأحرقه بالنار .

هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها، ﴿مُطَمِّئَةً﴾: لا يزعجها خوف؛ لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف، ﴿رَعْدًا﴾: واسعاً، والأنعم: جمع نعمة، على ترك الاعتداد بالثناء، كدرع وأدرع، أو جمع نعم، كبؤس وأبؤس، وفي الحديث، نادى منادي النبي ﷺ بالموسم بمنى: «إِنَّهَا أَيَّامٌ طَعِمَ وَنَعِمَ فَلَا تَصُومُوا» (٨٤٠).

فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه^(١)؟

٨٤٠ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٤٨) غريب جداً، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا.

(١) قال محمود: «إن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة إيقاع الإذاقة على اللباس... إلخ؟» قال أحمد: وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بدوب التبر لا بالحبر، وقد نظر إليهما جميعاً في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِحَنَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى، وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها، ثم جاء ملاحظاً للشراء المستعار قوله ﴿فَمَا رَبَحَت بِحَنَّتُهُمْ﴾ فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء، ثم جاء ملاحظاً للحقيقة الأصلية المستعار لها قوله ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فإنه مجرد عن الاستعارة، إذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين، لكان الكلام حقيقاً معرئ عن ثوب الاستعارة والنظر إلى المستعار في بابه، كترشيع المجاز في بابه. ومنه [من الوافر]:
إذا الشيطان قسح في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام
فجعل الشيطان في قفاها قاصعاً ثم نافقاً، ثم جعله مستخرجاً بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره، والشوط في هذا الفن البديع فطين، والله الموفق. انتهى.

من قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَأَذْنَبَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْتَعُونَ﴾. استعارة في «الإذاقة واللباس» وقد بين المفسر العلامة هذه الاستعارة بما لها وما عليها. ولكن ما معنى الترشيح والتجريد؟

الترشيح: ذكر ملائم المستعار منه أي المعنى الحقيقي وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِحَنَّتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].
فقوله سبحانه: «اشتروا» استعارة للاستبدال ثم مضى على هذا المعنى فذكر «ربحت» و«تجارتهن» وبهذا يكون قد نظر إلى المستعار منه.

وفي الترشيح تقوية لأنه تصور للمستعار له كأنه داخل في دائرة المستعار منه بهذا الترشيح. وبهذه التقوية تكون المبالغة، ولهذا كان مبناه التناسي للتشبيه، وعلينا أن ننظر في الآية السابقة، وكذلك قول أبي تمام [من المتقارب]:
ويصعد حتى يظن الجهور بأن له حاجة في السماء.

التجريد: عكس الترشيح أي الإتيان بما يلائم المستعار له ومنه الآية التي في صدر البحث.
يقول القزويني - رحمه الله -:

قال - أذاقها - ولم يقل - كساها - فإن المراد بالإذاقة أصابتهم بما استعير له اللباس، كأنه قال: =

قلت: أما الإذاقة: فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة؛ لشيوعها في البلبا والشدايد وما يمسّ الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرر، وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع^(١)، وأما اللباس: فقد شبه به؛ لاشتماله على اللابس: ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة: «عما يغشى منهما» ولباس، فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيه من الجوع والخوف، ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما، فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما:

أحدهما: أن ينظروا فيه المستعار له، كما نظر إليه هنا؛ ونحوه قول كُتِبَ [من الكامل]:
عَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَلِقَتْ لِضِخْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ^(٢)

= فأصابها الله بلباس الجوع والخوف، ثم ذكر كلام الزمخشري في الآية ثم أورد اعتراضاً فقال: «فإن قيل: الترشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل: فكساها الله لباس الجوع والخوف؟ قلنا: لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة.

فإن قيل: «لم لم يقل - فأذاقها الله طعم الجوع والخوف؟ قلنا لأن الطعم وإن لأم الإذاقة فهو مفوت لما يقيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس» فإذا لم يوجد الملائم أصلاً أو وجد ملائم للمستعار منه وللمستعار له فالمجاز «الاستعارة» تكون مطلقة، وقد جعلها البلاغيون قسماً ثالثاً لهذا التقسيم باعتبار الملائم الخارجي ومثالها: «عندي أسد».

هذا، وكلام الزمخشري في هذا الملائم يشمر بأن هذا الفن من أجمل الفنون وأبلغها، وإنه يبلغ من الحسن والرونق - إذا وقع موقعه - ما لا تراه لسواه، وينظر كلامه في آية البقرة المرشحة وسواء كان الترشيح للمجاز المفرد أو المركب والترشيح عند الزمخشري وتبعه أبو السعود من لف نحوهم لا يكون استعارة، وهو كلام صحيح لأن مبنى هذا على التقوية التي لا تكون إلا بالحقيقة كما صدرت نحوه أول الكلام. والعلامة المفسر قد بين هذه المعاني كلها في عرضه للآيات التي يرد منها الاستعارة بهذا المفهوم الذي عرضه، والله الموفق للصواب.

«ينظر الإيضاح ٩٩/٥ وما بعدها، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٠٢ وما بعدها والمفتاح للسكاكي ١٨٢، والمطول للسعد ٣٧٧ وما بعدها. وفتح القدير للشوكاني ٢٠٠/٣، وروح المعاني للألوسي ٢٤٣/١٤، ٢٤٤.

(١) قوله: «بما يدرك من الطعم المر والبشع» عبارة غيره: طعم المر والبشع، ولعله المر البشع بدون واو (ع).

(٢) لكثير. والغمر: الكثير. وشبه العطاء بالرداء، لأنه يصون عرض صاحبه أو يستر فقر السائل، فاستعاره له على سبيل التصريحية وإضافة الغمر إليه تجريد، لأنه يلائم المشبه. هذا وقد يقال الغمر، يطلق على الماء الذي يغمر قامة المنغمس فيه، فيجوز أنه يشبه العطاء من حيث صونه عرض صاحبه بالرداء، فيكون استعارة مصرحة، وتكون إضافة الغمر إليه من إضافة المشبه به =

استعارة الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف^(١) والنوال، لا صفة الرداء، نظر إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار؛ كقوله [من الوافر]:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو رُوَيْدَكَ يَا أَحَا عَمْرٍو بْنَ بَكْرِ
لِي الشُّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي وَدُونَكَ فَأَعْتَجِرُ مِنْهُ بِشْطَرٍ^(٢)

أراد بردائه سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر، فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقليل: فكساهم لباس الجوع والخوف، ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً، ﴿وَهُمْ ظَلِمُوا﴾: في حال/ ١٩٧ أ التباسهم بالظلم؛ كقوله: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، نعوذ بالله من مفاجأة النعمة والموت على الغفلة، وقرئ: (والخوف): عطفاً على اللباس، أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أصله: ولباس الخوف، وقرئ: «لباس الخوف والجوع».

﴿فَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بَرَاغٍ وَلَا عَكَدِ قَائِلَ اللَّهِ غُفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١١٥﴾

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها: وسوء صنيعها، وصل

= للمشبه، بجامع عموم كل ونفعه، والقرينة على كل ذلك قوله: إذا تبسم. شارعاً في الضحك. غلقت لضحكته رقاب المال: يقال: غلق الرجل إذا ضجر وغضب، وغلقت الرهن إذا ملكه المرتهن ولم يقدر صاحبه على فكه، وكانت تلك عاداتهم. فالمعنى: إذا ضحك غضبت الأموال لعلمها أنها ستؤخذ ويملكها غيره، أو ثبتت في أيدي السائلين وملوكها. ورقاب المال: مجاز مرسل، أي أعيانه.

ينظر: ديوانه ص ٢٨٨، ولسان العرب (غمر) (ضحك) (ردى)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٢٨.

(١) قوله: «ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف» في الصحاح الغمر الماء الكثير. وفيه «الاعتجار» لف العمامة على الرأس، وفيه «الضافي» السابق (ع).

(٢) استعار المنازعة لتسببه في امتداد السيف إليه حتى توسط بينهما، كالشيء يتجاذبه اثنان. واستعار الرداء للسيف بجامع حفظ كل لصاحبه وعدم الاستغناء عنه. والاعتجار ترشيع، ومعناه: التعمم أو التلفع، فهو ملائم للرداء. ويحتمل أن التركيب كله من باب التمثيل. وعبد عمرو: فاعل. ورويدك: اسم فعل، بمعنى أمهل، والكاف حرف خطاب، قاله الجوهري. وبالنظر لأصله فهو مصدر، والكاف مضاف إليه، وفيه التفات. وبكر: أبو قبيلة. والشطر الذي ملكته يمينه: هو مقبض السيف. ودونك: اسم فعل بمعنى خذ، أي خذته فتلفع منه بالشطر الآخر وهو صدره، والأمر للإباحة، وفيه نوع تهكم.

بذلك بالفاء في قوله: ﴿تَكْلُوا﴾: صدّهم عن أفعال الجاهلية، ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها، بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب، وشكر إنعامه بذلك، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني: تطيعون، أو: إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة؛ لأنها شفعاؤكم عنده، ثم عدد عليهم محرمات الله، ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم، دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

وانتصاب ﴿الْكَذِبَ﴾: بلا تقولوا، على: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْفُسِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه، واللام مثلها في قولك: ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام، وقوله: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: بدل من الكذب، ويجوز أن يتعلق بـ «تصف» على إرادة القول، أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم، فتقول هذا حلال وهذا حرام، ولك أن تصب الكذب بـ «تصف»، وتجعل «ما»: مصدرية، وتعلق: (هذا حلال وهذا حرام): بلا تقولوا، على: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينه؛ ولكن قول ساذج ودعوى فارغة.

فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟

قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم، فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته؛ كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر، وقرئ: (الكذب): بالجزء صفة لما المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى: الكاذب؛ كقوله تعالى: (بدم كذب)، والمراد بالوصف: وصفها البهائم بالحل والحرم، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب بالرفع؛ صفة للألسنة، وبالنصب على الشتم، أو بمعنى: الكلم الكواذب، أو هو جمع الكذاب من قولك: كذب كذاباً: ذكره ابن جني، واللام في ﴿لِنَفَرُوا﴾: من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض، ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾

﴿مَا فَصَحْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني: في سورة الأنعام.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا لِلَّذِينَ عملُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩)

﴿بِجَهْلَةٍ﴾: في موضع الحال، أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

﴿بِئْنَ إِذْ رَمَيْمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْبَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١) ﴿وَمَا تَبَيَّنَتْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢) ﴿كَانَتْ أُمَّةً﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم^(١)؛ لكمالها في جميع صفات الخير؛ كقوله [من السريع]

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٢)
وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار.

والثاني: أن يكون أمة بمعنى: مأموم، أي: يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى: مؤتمر به كالرحلة^(٣) والنخبة، وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى: مفعول،

(١) قال محمود: «في قوله أمة وجهان، أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم... الخ» قال أحمد: ويقوي هذا الثاني قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي كان أمة تؤمه الناس ليقبضوا منه الخيرات ويقتفوا بآثاره المباركات، حتى أنت على جلاله قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته، والله أعلم.

(٢) قولاً لهرون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة فلت مثل الفضل بالوجد
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لأبي نواس يعطف هرون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، غيره منه لما سمع من نهايته في الكرم، وخاطب الاثنين تأسياً بعبادة العرب، والاحتفال: الاجتماع. والحاشد الجامع، وعلى بمعنى مع. أي: أنت مع كونك في غاية الاقتدار لست واجداً مثل الفضل في العالم كله، ودخلت الفاء في خير المبتدأ لما فيه خيره من رائحة الشرط، أي: وإن كنت قادراً، ودخلت الياء في خبر ليس لتوكيد النفي، واستدل على ذلك بقوله: ليس مستنكراً على الله جمعه خصال العالم كلها في رجل واحد كالفضل، هذا ما يتبادر منه ظاهر النظم، لكنه خلاف مقتضى مقام الاستعفاف، فالمعنى فلا يكن منك غيره من الفضل، فإن كرمه بعض صفاتك، فإن الله قادر على جمع صفات العالم كلها فيك، وقد فعل. ويروى: من الله بدل على الله. ويروى: بمستبدع، بدل بمستنكر.

ينظر ديوانه (٣٤٩/١)، وشرح قطر الندى ص ١١٤.

(٣) قوله: «كالرحلة» في الصحاح «الرحلة» بالضم: الوجه الذي تريده، وبالكسر: الارتحال (ع).

فيكون مثل قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال: إِنَّ مَعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانَتْهُ اللَّهُ، فَقُلْتُ: غَلَطْتُ؛ إِنَّمَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ: الْأُمَّةُ: الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانَتْ الْمَطِيعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَانَ مَعَاذٌ كَذَلِكَ (٨٤١)، وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ - حِينَ قِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَخْلَفُ؟ - لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتَهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَاذٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتَهُ، وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتَهُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَعَاذُ أُمَّةٍ قَانَتْهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْمُرْسَلُونَ، وَسَالِمٌ شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ، لَوْ كَانَ لَا يَخَافُ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ» (٨٤٢)، وَهُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى، أَي: كَانَ

٨٤١ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٠/٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٦١/٧) (٢١٩٨٤)، والحاكم في مستدرکه (٢٧٢/٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٠/١٠ - ٧١) (٩٩٤٣ - ٩٩٤٤) من طرق عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال: قرئت عند ابن مسعود ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ...﴾ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: وفراس هو ابن يحيى أبو يحيى الخارفي الكوفي المكتيب، وثقه أحمد، ويحيى بن معين، والنسائي، والعجلي وآخرون. وقال علي ابن المدني عن يحيى بن سعيد القطان: ما أنكرت من حديثه إلا حديث الاستبراء... واحتج به الجماعة وحديثه في الاستبراء لم يخرجه الشيخان. راجع تهذيب الكمال (١٥٢/٢٣) (٤٧١٢) وأخرجه أيضاً الحاكم (٢٧١/٣ - ٢٧٢)، والطبراني في الكبير (٧٢/١٠) (٩٩٤٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٦٠/٧) (٢١٩٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٠/١)، من طريق إسماعيل بن علي عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذاً كان أمة... وقال الهيثمي في المجمع (٧/٥٢) ... رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية، من رواية علي بن منصور عن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود، فذكره. لكن ليس فيه: فقلت له: «غلطت» بل فيه فقيل له: إن إبراهيم. وفيه: «وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير. وكان مطيعاً لله ورسوله»، ورواه الحاكم أيضاً من رواية شعبة عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «إن معاذاً كان أمة قانتاً لله» فقال رجل من أشجع يقال له: فروة بن نوفل: إنما ذلك إبراهيم. فقال عبد الله: إنا كنا نشبهه بإبراهيم - الحديث» وأخرجه عبد الرزاق. ومن طريق الحاكم قال: أخبرنا الثوري عن فراس نحوه. انتهى.

٨٤٢ - يبيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٥٠/٢)، وقال ابن حجر: لم أجده. قلت: وبعض فقرات الحديث صحيحة. قوله: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة».

أخرجه البخاري (١١٦/٧) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة حديث (٣٧٤٤) وفي (٧/٦٩٦) كتاب المغازي: باب قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٢) وفي (٢٤٥/١٣) كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد... حديث (٧٢٥٥)، ومسلم (١٨٨١/٤) كتاب فضائل الصحابة: باب فضل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٢٤١٩/٥٣)، والثرمذي (٦٦٥/٥) كتاب =

إماماً في الدين؛ لأن الأئمة معلمو الخير، والقانت: القائم بما أمره الله، والحنيف: المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه، ونفي عنه الشرك؛ تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم، ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾: روي أنه كان لا يتغذى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيّلوا له أن بهم جذاماً؟ فقال: الآن وجبت مواكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاككم، ﴿أَجَبْتَهُ﴾: اختصه واصطفاه للنبوّة، ﴿وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إلى ملة الإسلام، ﴿حَسَنَةً﴾: عن قتادة: هي تنويه الله بذكره، حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه، وقيل: الأموال والأولاد، وقيل: قول المصلي منا: كما صليت على إبراهيم، ﴿لِيَنصَلِّيَنَّهُ﴾: لمن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٣)

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: في «ثم»: هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة، وأجل ما أولي من النعمة: اتباع رسول الله ﷺ ملته، من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.

 = المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل... حديث (٣٧٩١)، وأحمد (٣/١٣٣، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٨١)، وأبو يعلى (٥/١٩٠) رقم (٢٨٠٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٢٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/١٧٥)، والبيهقي في «شرح السنة» (٧/٢١٤ - بتحقيقنا) كلهم من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس مرفوعاً بلفظ: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح» وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٤/١٨٨١) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٥٤/٢٤١٩) وأحمد (٣/١٢٥، ١٤٦، ١٧٥، ٢١٢، ٢٨٦) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.
 قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

(١) عاد كلامه. قال محمود: «وفي ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد ﷺ... إلخ» قال أحمد: وإنما تفيد ذلك ثم لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان، ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشخّ محلاً مما عطف عليه، فكانه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى: وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدراً وأرفع رتبة وأبعد رفعة، وهو أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع لملة إبراهيم، مأمور باتباعه بالوحي، مثل أمره بذلك في القرآن العظيم. ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، لكن نصيب النبي ﷺ من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه، والله الموفق للصواب.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٧٤)

﴿ السَّبْتُ ﴾ : مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها، والمعنى : إنما جعل وبال السبت وهو المسخ ﴿عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ﴾ : واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحزموه تارة، وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه، والمعنى في ذكر ذلك، نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً، / ١٩٧ ب وغير ما ذكر، وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربة طاعته.

فإن قلت : ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محزّمين؟

قلت : معناه : أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحزّمين أخرى، ووجه آخر : وهو أنّ موسى - عليه السلام - أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة، فأبوا عليه وقالوا : نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت، إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة، فهذا اختلافهم في السبت؛ لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة، فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون فيه، وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك، وهو يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ : فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه، ومعنى : «جعل السبت» : فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه، وقرئ : «إنما جعل السبت» : على البناء للفاعل، وقرأ عبد الله : «إنا أنزلنا السبت».

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَى ﴾ (١٧٥)

﴿ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ : إلى الإسلام، ﴿بِالْحُكْمِ﴾ : بالمقالة المحكمة الصحيحة؛ وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ : وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، أي : ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، ﴿وَخَدِّ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ : بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ : بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الجليل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَلَا عَاقِبَتُ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَأَصْبِرْ
وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِأَلَلِّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة، والمعنى: إن صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله، ولا تزيدوا عليه، وقرئ: «وإن عقبتهم فعقبوا» أي: وإن قفيتهم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم، روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد: بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، ما تركوا أحداً غير ممثل به إلا حنظلة بن الراهب، فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به، وروي: فرآه مبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به، لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك» (٨٤٣)؛ فنزلت، فكفر عن يمينه وكفَّ

٨٤٣ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٥٠) (٦٨٨): غريب بهذا اللفظ وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.

قلت: وقصة حمزة وردت عن:

- أبي هريرة:

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٩)، والحاكم في المستدرک (٣/١٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٢٨٨)، كلهم من طريق صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة، وسكت عنه الحاكم: وقال الذهبي صالح واه، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/١٢٢) وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف.

قلت: وتحرف في المطبوع من «المجمع» «صالح بن بشير المري» إلى «صالح بن بشير المزني» والصحيح ما أثبتناه. والله المستعان.

والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٥٥) وابن المنذر وابن مردويه.

- عبد الله بن عباس:

أخرجه الدارقطني في سننه (٤/١١٨) من حديث إسماعيل بن عياش عن عبد الملك بن أبي عتبة أو غيره عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس... فذكره، والحاكم في المستدرک (٣/١٩٧) - (١٩٨) من طريق أبي بكر بن عباس عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس به، وسكت عنه الحاكم - وقال الذهبي: سمعه أبو بكر بن عياش من يزيد وليسا بمعتمدين. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/٦٢ و ١١٠٥٠ و ١١٠٥١) من طريقين عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس به.

قلت: وكلا الطريقين عند الطبراني فيهما ضعف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي بغير سند. وقصة حمزة أخرجه البزار والطبراني من رواية سليمان التيمي عن ابن عثمان عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ نظر يوم أحد إلى حمزة وقد قُتل ومثل به، فرأى منظراً لم ير قط أوجع لقلبه منه، وذكر باقي الحديث أتم مما ذكره هنا ورواية صالح سهو عن سليمان، وصالح ضعيف، وله طريق أخرى أخرجه الدارقطني من رواية إسماعيل بن عباس قال: «لما انصرف =

عما أراده، ولا خلاف في تحريم المثلة، وقد وردت الأخبار بالنهي عنها (٨٤٤) حتى

= المشركون عن قتلي أحد فرأى رسول الله ﷺ بعمة حمزة منظرأ أساءه، وقد شق بطنه واصطلم أنفه - فذكر القصة فيها: لأمثلن مكانه بسبعين رجلاً. وذكر الصلاة عليه وعلى القتلى. قال: فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة - الآية) فصبر ولم يمثل بأحد» قال الدارقطني: تفرد به إسماعيل وهو ضعيف عن غير الشاميين. قلت: وأما أول الكلام فذكره. انتهى.

٨٤٤ - ورد من حديث جماعة منهم: عمران بن الحصين، سمرة بن جندب، وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن يزيد الأنصاري وأنس وبريدة والمغيرة بن شعبة وأسماء بنت أبي بكر وعلي بن أبي طالب وابن عباس وصفوان بن عسال وجريز بن عبد الله البجلي وأبو موسى الأشعري وأبو أيوب الأنصاري وزيد بن خالد الجهني وعلي بن مرة والحكم بن عمير وعائذ بن قرط وعمر بن الخطاب. - أما حديث عمران:

أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ١١٢) حديث (٨٣٦) والخطيب في التاريخ (٣٠٧/٧) من طريق الحسن بن عمران بن حصين قال: «قلما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة» وقال: إن من المثلة أن ينذر أن يخرم أنفه ومن المثلة أن ينذر أن يحج ماشياً، فإذا نذر أحدكم أن يحج ماشياً فليهد هدباً وليركب. وهذا الإسناد منقطع. الحسن لم يسمع هذا الحديث من عمران وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٢٣/٩): كتاب الديات - باب المثلة في القتل حديث (٧٩٨٤) وأحمد (٤٢٨/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢٤٢/٨) وأبو داود (١٢٠/٣) كتاب الجهاد - باب في النهي عن المثلة - حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٦٩/٩) كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. كلهم من رواية قتادة عن الحسن بن الهياج بن عمران عن عمران بن حصين قال: «كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة. واللفظ لأبي داود وقال أحمد: كان يحث في خطبه على الصدقة وينهى عن المثلة. - وحديث سمرة:

أخرجه أحمد (١٢/٥، ٢٠) وأبو داود (١٢٠/٣)، كتاب الجهاد باب في النهي عن المثلة حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٦٩/٩) من قتادة عن الحسن بن الهياج بن عمران البرجمي أن عمران أبى له غلام فجعل الله عليه لثن قدر عليه ليقطعن يده فأرسلني لأسأل له فأتيت سمرة بن جندب فسألته فقال: «كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة» فأتيت عمران بن حصين فسألته فقال مثل ذلك.

- وحديث ابن عمر:
أخرجه أحمد (١٣/٢، ١٠٣) والبخاري (٦٤٣/٩) كتاب الذبائح والصيد باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة حديث (٥٥١٥) والحاكم (٢٣٤/٤): كتاب الذبائح - باب النهي عن مثلة الحيوان. والبيهقي (٨٧/٩): كتاب السير - باب تحريم قتل ماله روح إلا بأن يذبح فيؤكل. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: «لعن رسول الله ﷺ من مثل الحيوان».

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يخرجاه بهذه السياقة وهم في ذلك فإنه عند البخاري بهذا اللفظ.

- وحديث عبد الله بن يزيد:
أخرجه البخاري (٦٤٣/٩)، كتاب الذبائح والصيد - باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة - حديث (٥٥١٦) والبيهقي (٦٩/٩) كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق =

بالكلب العقور، إما أن رجع الضمير في ﴿فَضِّلُوا وَلَعَلَّكُمْ﴾ إلى صبرهم وهو مصدر

= دون المثلة وأحمد (٣٠٧/٤) عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن النهبة والمثلة».

- حديث أنس:

أخرجه النسائي (١٠١/٧) كتاب تحريم الدم - باب النهي عن المثلة. من طريق عبد الصمد ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة» ورواه أبو داود (٥٣٥/٤) كتاب الحدود - باب ما جاء في المحاربة حديث (٤٣٦٨) والبيهقي (٩/٦٩) كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار. . من رواية ابن أبي عدي عن هشام عن قتادة عن أنس في قصة العرينين وقال في آخره (ثم نهى عن المثلة).

ورواه البخاري (٤٥٨/٧): كتاب المغازي - باب قصة عكل وعرينة حديث (٤١٩٢) طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بالقصة وفي آخره قال قتادة «وبلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة».

قال الحافظ في الفتح (٤٥٨/٧، ٤٥٩) وتبين بهذا أن في الحديث الذي أخرجه النسائي من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن هشام عن قتادة عن أنس إدراجاً وأن هذا القدر من الحديث لم يسنده قتادة عن أنس وإنما ذكره بلاغاً ولما نشط لذكر إسناده ساقه بوسائط إلى النبي ﷺ.

- حديث بريدة:

أخرجه أحمد (٣٥٨/٥) ومسلم (١٣٥٧/٣): كتاب الجهاد. باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث حديث (١٧٣١/٣) وأبو داود (٨٣/٣): كتاب الجهاد - باب في دعاء المشركين حديث (١٦١٢) والترمذي (٨٥/٣) كتاب السير. باب ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال حديث (١٦٦٦). وابن ماجه (٩٥٣/٢): كتاب الجهاد - باب وصية الإمام - حديث (٢٨٥٨) والبيهقي (٩/٦٩): كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. عنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»

وقال الترمذي حسن صحيح.

- حديث المغيرة:

أخرجه ابن أبي شيبة (٤٢١/٩): كتاب الديات - باب المثلة في القتل - حديث (٧٩٧٩) وأحمد (٢٤٦/٤) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٤٨/٦) عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المثلة».

- حديث أسماء بنت أبي بكر:

أخرجه الطبراني كما في المجمع (٢٥٢/٦) عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة».

وقال الهيثمي ورجاله ثقات

- وحديث علي:

رواه الطبراني كما في المجمع (٢٥٢/٦) ولفظه «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور». وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده منقطع.

وحديث ابن عباس تقدم.

- وحديث صفوان بن عسال:

أخرجه أحمد (٢٤٠/٤) وابن ماجه (٩٥٣/٢): كتاب الجهاد - باب وصية الإمام - حديث (٢٨٥٧). =

صبرتم، ويراد بالصابرين: المخاطبون، أي: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع

= من طريق عبيد الله بن خليفة عن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال: سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدًا. وذكره البوصيري في «الزوائد» (٤٢١/٢) وقال: هذا إسناد حسن.

- حديث جرير:

أخرجه أبو يعلى (٤٩٣/١٣ - ٤٩٤) رقم (٧٥٠٥) والطبراني في الكبير (٢١٣/٢) رقم (٢٣٠٤) وفي الصغير (٤٤/١ - ٤٥) من طريق ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كان النبي ﷺ إذا بعث سرية قال: باسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تحثلوا ولا تقتلوا الولدان. قال الطبراني: لا يروى عن جرير إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن لهيعة.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٠/٥) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الثلاثة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقيّة رجاله ثقات وله طريق في «الكبير» ضعيفه أ.هـ قلت: وهذا الطريق أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٠٥) وفيه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو متروك. والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العلية» (١٥٠/٢) رقم (٩٦٠) وعزاه إلى أبي يعلى. وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (١٥١/٢ - ١٥٢) رقم (١٩٤٨): سألت أبي عن حديث رواه أبو هارون البكاء عن ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير قال: كان رسول الله ﷺ إذا بايع بايع على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة لله ولرسوله والنصح لكل مسلم وإذا بعث سرية قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان. قال أبي ليس لهذا الحديث أصل بالعراق وهو حديث منكر.

وحديث أبي موسى الأشعري.

أخرجه البزار (٢٦٧/٢) رقم (١٦٧٤) والطبراني في «الصغير» (١٨٧/١) من طريق أحمد بن عثمان ابن حكيم الأودي ثنا عثمان بن سعيد المري ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا شيخاً كبيراً. وقال الطبراني: لم يروه عن أبي إسحاق إلا إسرائيل ولا عنه إلا عثمان تفرد به أحمد بن عثمان بن حكيم.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٠/٥) وقال: رواه البزار والطبراني في الصغير والكبير ورجال البزار رجال الصحيح غير عثمان بن سعيد المصري وهو ثقة.

- حديث أبي أيوب:

أخرجه الطبراني كما في المجمع (٢٥٣/٦) من حديث يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا شعبة بن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النهية والمثلة» وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

- حديث زيد بن خالد:

أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٤٩/٦) من رواية ابن أبي ذئب عن مولى الجهينة عن عبد الرحمن بن زيد بن خالد عن أبيه عن النبي ﷺ «أنه نهى عن النهية والمثلة» وقال الهيثمي: وفيه رواه لم يسم.

- حديث يعلى بن مرة:

الصابرون موضع الضمير؛ ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد، أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة، وإما أن يرجع إلى جنس الصبر - وقد دل عليه صبرتم - ويراد بالصابرين جنسهم، كأنه قيل: وللصبر خير للصابرين؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلنَّفْيِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرُوا﴾: أنت فعزم عليه بالصبر، ﴿وَمَا صَبْرَكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوفيقه وتثبيتته وربطه على قلبك، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكافرين؛ كقوله: ﴿فَلَا نَأْسَ عَلَى الْكُفْرَانِ﴾ [المائدة: ٦٨]، أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾، وقرئ: «ولا تكن في ضيق»، أي: ولا يضيقتك من مكرهم، والضيقة: تخفيف الضيق، أي: في أمر ضيق، ويجوز أن يكون الضيق والضيقة مصدرين، كالقيل والقول، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾: في أعمالهم، وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر: أوص، فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي، وأوصيكم بخواتم سورة النحل.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ بِمَا أَعْمَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمٍ تَلَاهَا أَوْ لَيْلَتَهُ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَلَّذِي مَاتَ وَأَحْسَنَ الوَصِيَّةِ» (٨٤٥).

= رواه أحمد (١٧٣/٤) قال: حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا عطاء بن السائب عن يعلى بن مرة النخعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله عز وجل لا تمثلوا بعبادي». ورواه الطبراني من هذا الوجه أيضاً من رواية عطاء بن السائب كما في المجمع (٢٥١/٦) وقال: عطاء بن السائب اختلط حديث الحكم بن عمير وعائذ بن قرط. رواه الطبراني في الكبير عنهما قالوا قال رسول الله ﷺ: «لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح». وقال الهيثمي (٢٥٢/٦): رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك. - وحديث عمر:

رواه الطبراني في الصغير (٢٣٣/١): قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى المعدي أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن يزيد ثنا إسماعيل بن حكيم الخزازي ثنا يونس بن عبيد عن الحسن بن عمران بن حصين قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خطبنا رسول الله ﷺ فأمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة» قال الطبراني لم يروه عن الحسن بن عمران عن عمر إلا يونس بن عبيد ولا عنه إلا إسماعيل تفرد به عبد الله بن عمر بن يزيد، ورواه هشيم وغيره عن يونس عن الحسن بن عمران فقط.

وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/٦) رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

قلت روي ذلك عن جماعة من الصحابة.

٨٤٥ - ينظر حديث رقم (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

رواه الثعلبي وابن مردويه وقد تقدم سنده في آل عمران.